مآربُ أخرى

الكاتب: مؤمن محمد صلاح
مآربُ أخرى: مقالات
تصميم الغلاف: مؤمن محمد صلاح
تدقيق: بنت الزيات
إخراج فنيّ: الباشا عبد الباسط
رقم الإيداع: 25354 / 2017
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 844 - 008 - 9

دار بنت الزيات للنشر والتوزيع :Facebook Page
E_mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

رئيس مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار بنت الزيات
المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

مآربُ أُخرى

مقالات

مؤمن محمد صلاح

إهـداء

إلى أستاذي

عبد الوهاب مطاوع - رحمه الله -

تعلمت منك الكثير، وما زلت أتعلم؛

فجزاك الله عنا خير الجزاء،

ورحمك الله وغفر لك.

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله وكرمه يعفو عن السيئات، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون، إن النفس البشرية شديدة التعقيد لها صولات وجولات مرة ترها في أشد إيمانها ومرة أخرى تجدها آمرة بالسوء، ومرة أخرى لوامة، وقليلاً ما تصل إلى النفس المطمئنة إلا من رحم الله، فالصراع مع النفس شديد منذ ميلاد الإنسان حتى وفاته؛ فهي أعدى أعداء الإنسان، والقلب هو سيد أعضاء الجسد فوجب الاهتمام به اهتمامًا شديدًا؛ لأنه لو صلح هذا القلب لصلح باقي الأعضاء والعكس صحيح، فكان لا بد من معرفة أسباب تمرد النفس وتيه القلب، وما يزكي النفس وما يصلح القلب، فالقلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، ولا بد من جلاء هذا الصدأ ومعرفة كيف ينقى هذا القلب مما فيه من رواسب وشبهات،

فالكثير من الناس في غفلة من أمرهم يصارعون في الدنيا وكأنهم مخلدون ويعتذرون بأبنائهم، وكأن أبناءهم سوف يموتون جوعًا بعد وفاتهم، والحقيقة بخلاف ذلك فتربية الأبناء تربية صالحة وتنشئتهم تنشئة على دين الله والفطرة السليمة هو خيرٌ مما لو تركت لهم كنوز الأرض ذهبًا وفضة؛ لأن الأخلاق والقيم لا تشترى بالمال، وما فائدة المال وأنت تربي أجيالاً فاسدة

وتعطي للمجتمع قيمًا منحرفة؟، فإذا تركتهم أغنياء مع الخلق كان خيرًا ولكن بشرط ألا يشغلك جمع المال عن عبادة الله التي جميعًا خلقنا من أجلها، فإن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم، فلو شغلوك عن عبادة الله كانوا أعداءك وأنت لا تشعر.

فالقلوب حائرة تائهة، بها شعَث وفرقة تتمسك دائما بالفاني، تبحث عن التملك في كل شيء، وجعل الله اطمئنانها بذكره وجعل سكونها بمحبته وجعل الدعاء هو بلسم جروحها؛ فالقلوب لا يصلحها إلا بالشكوى إلى خالقها

ومن هنا قد جمعت لكم بعض المقالات التي تم نشرها في مواقع متعددة منذ فترات ليست بالقليلة؛ لكي يستفيد البعض ولو بالقليل، فإن كان من توفيق فمن الله وإن كان من خطأ فمن نفسي والشيطان.

أسأل الله العظيم أن ينفع بهذا العمل البسيط ويجعله لوجهه خالصًا.....

مؤمن محمد صلاح

* * *

لأنه الله

سبحانه وتعالى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، والذي هو أرحم بعباده من أنفسهم ومن أمهاتهم والذي يرزق العاصي ويعفو عن الكثير سبحانه خالق كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، فالناس تمرض وتموت، والدول تنهار وتقوم، والأشجار والأنهار تندثر، والملوك تزل وتموت، والعالم كله إلى زوال، ويبقى الله الواحد المتعال الغني عن عباده الواسع في رحمته ومغفرته وقدرته و علمه.

الذي يفرح بك في الرخاء قبل الشدة، وهو سبحانه الذي يستحق العبادة دون بلاء منه لك، ويستحق الشكر والحمد دون مصائب، ويستحق أن تقف تدعوه وتناجيه دون أن يبتليك بمكروه، ما أكرمك به لا يُعد ولا يحصى، ولكن الإنسان ينسى، فإذا سألت فاسأله سبحانه، وإذا استعنْت فاستعن به سبحانه، واطمئن،فكلّ مَن في هذا الكون وهذا الوجود العظيم لا يستيطعون أن يريدوك بمكروه إلا وقد كتبه الله عليك، وهو وحده القادر على رفع المكروب والكرب عنك.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - عن اسم الله الحفيظ الذي حفظ ما خلقه وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب والهلكات، ولطف بهم في الحركات والسكنات.

في هذه الحياة متاعب وهموم لا حصر لها وبدون رعاية الله لك ستهلك لا محالة، وتتشرد بين أضغاث الحياة، فتوكل عليه سبحانه، واعتصم به فهو القادر على عنايتك ورعايتك، كان الشافعي - رحمه الله - يقول:

إن لم يكن عونٌ من الله للفتى... فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فهل تتوقع أن شيئاً في هذه الحياة المتعبة أكبر منه سبحانه، حاشا لله فهو رب كل شيء، وهو القادر على كل شيء، وهمومك ومتاعبك وأحزانك كلها بيده، وهو الذي بيده يرفع عنك ما تعانيه وما يحزنك وما يثقل أكتافك؛ لأنه الله القادر القريب المجيب، هو يبتليك لتعود إليه وتتواضع له وتعرف أنه القادر، فإذا عرفت قيمة نفسك وضعفك رفع عنك البلاء، فهو الغني عن ابتلائك وهو الغني عن مرضك والغني عن عذابك، ولكن المطلوب منك أن تتبرأ من حولك وقوتك إلى حول الله وقوته وتطلب منه العون بانكسار وخشوع، وتلجأ إليه بقلبك قبل جسدك، وتطلب منه أن ينظر إليك بعين الرحمة، وتعود إليه معترفًا بذنبك وضعفك وتقصيرك، عُد إليه واطلب منه الرحمة والمغفرة، واطرق بابه، وانتظر الفرج والشفاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في إياك نعبد وإياك نستعين) اللهم إنا نستعين بك فأعنا، ونرجو رحمتك فلا تحرمنا، ونعترف بتقصيرنا وضعفنا فاقبلنا.

* * *

أخلصْ تنل

لعل ما بينته الأيام السابقة أنك لا تضمن على أحد الثبات أبداً إلا مَن ثبته الله، فقد رأينا العالم الزاهد داعياً للفتنة ومدافعاً عن الظالم، ورأينا الفقيه العابد يُخرِج من فمه ألفاظاً مبتدعة، ورأينا أُناساً كنا نحسبهم على خير فخالفوا ظنوننا، ونسأل الله لهم ولنا حسن الختام، كل هذه الصور التي نراها كانت على خير فترات كبيرة من الزمن ثم فجأة نتحسر على حالهم وكيف وصلوا لبيع الآخرة بعرض من الدنيا قليل؟، كل ذلك يجعلنا نراجع إخلاصنا في كل أعمالنا، قال سفيان - رحمه الله - :(ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي؛ لأنها تتقلب عليَّ) فالإخلاص هو جعل الأعمال كلها لله، وبأن تستوي هذه الأعمال في الظاهر كالباطن، ويكون مدح الناس عندك كذمّهم لك،

والنفاق أن تُظهر عكس ما تبطن، سواءكان ذلك أعمالاً تتقرب بها إلى الله أم تظهر للناس بوجه وأنت تحمل لهم وجهاً آخر، ومَن يحمل النفاق في قلبه يمت موتة سوء والعياذ بالله فضلاً عن أن الله توعده بالدرك الأسفل من النار،

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - (ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما) وللإخلاص

علامات، كل إنسان منَّا عليه أن يراجع نفسه إذا وجد منها بداخله شيئاً، ومنها عدم حب الشهرة والرياسة والمدح والثناء والحرص على إخفاء الأعمال ويكون عمل السر أفضل من عمل العلن، والخلاصة أن يكون عملك من داخلك لله وحده لا يوجد به رياء ولا سمعة، ولا تحب أن يمدحك الناس عليه فهل تتذكر مَن هم أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة المقاتل حتى يقال عليه جريء، وعالم تعلم القرآن وعلمه ليقال عليه عالم، ومنفق للمال ليقال عليه جَواد،

والكثير من الناس يتعب ويرهق نفسه في أعمال وليست هذه الأعمال لله، كمن يحج ليقال له حاج، ومن يصلي ليقال له ملتزم، ومن يبني المساجد ليقال له منفق، وغيرها من الأعمال المتعلقة بما يحويه القلب، فمن فضل الله على الناس أن جعل الأعمال كلها بالنيات ،ولا أحد يعلم نيتك إلا الله فعليك بصلاح النية حتى يكون العمل خالصاً صواباً، الخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة.

الإخلاص كان سبب النجاة لرجل كان لديه تسعة وتسعون سجلاً مملؤة بالسيئات، وحسنة واحدة في بطاقة يشهد فيها بأن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله مخلصاً من قلبه، والإخلاص نجى باغية بسقيا كلب كان يملأ قلبها الإخلاص والإيمان، والإخلاص نجى الثلاثة الذين أُغلقت عليهم

الصخرة في الكهف وكان لكل واحدٍ منهم عملٌ أخلص لله فيه حتى انفرجت الصخرة، فكل عملٍ خالصٍ لله كفيلٌ بأن ينجيك من النار.

فالمخلص تظهر عليه محبة الله ومحبة الناس، ودائماً ينجيه الله من كل كرب وسوء، ألم تسمع قول الله – تعالى - (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين)

قال الإمام أحمد بن حنبل: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز، وهذا لا يناله إلا مخلص بأن يشهد جنازته أهل الصلاح والتقوى، فهناك فرق كبير بين مَن يشهد جنازته عدد كبير من أهل الصلاح والتقوى، ومَن يشهد جنازتهم أهل البدع والأهواء.

والإخلاص هو الذي يجعلك مطمئنًا من ناحية كل شيء تفعله بل هو السبيل لنجاتك، فإذا وجهت وجهك نحو المسجد فيكون ذلك لله وليس ليقال عليك مصلٍّ، وإذا ذهبت مع قوافل المعتمرين فليكن لله وليس ليقال عليك حاج، ودع عنك أمور التصوير داخل ساحات الحرم وخلافه حتى لا يصيبك مما أصاب المرائي، فإن أحببت فابتعد عن إظهار أعمالك الخفية للناس حتى يكون عملك أقرب للإخلاص، وأيضا لكي تحافظ على أعمالك خالصة لله وحده، فلو وقع في القلب شيء من حب الناس لعملك أصبحت مرائياً أو يختلط عملك، ولا يكون خالصًا كاملاً فأغلق الباب من البداية حتى ترتاح من وساوس الشيطان.

وإذا استطعت أن تصوم يومي الاثنين والخميس وباقي صيام التطوع والنوافل فليكن ذلك سراً بينك وبين الله، وإذا قمت الليل حتى يطلع الفجر فلا تصبح تخبر الناس بذلك، وإذا بكيت من خشية الله فأخفِ الدموع خشية لله، وإذا تصدقت على فقير فلا تخبره ولا تخبر أحداً ذات يوم بذلك، وإذا أفطرت صائماً فلا تعلن ذلك في مكبرات الصوت في مدينتكَ.

العبرة كلها بما يحويه قلبك، ونيتك محلها هذا القلب الذي من أجله جُعلت كل هذه الأعمال لكي يكون قلبًا سليمًا، فانشغل بقلبك وعالجه بما فيه من حب الظهور وغيره، فحقًا أخطر شيء على القلب هو الشرك الخفي

فالإخلاص هو خلاصك لكل عمل صالح بمعنى لو نيتك صالحة للزواج ووقفت أمامك كل العقبات من الماديات وغيرها لو حقًا أنت مخلص وتفهم لماذا نتزوج ليسَّر الله لك الزواج؛ لأنك من الثلاثة الذين حق على الله أن يعينهم، وعلى الجانب الآخر من الحج والعمرة، أخلص تنل ذلك بكل سهولة ولا تسألني بكيف ولكن هو وعد الله الذي على كل شيء قدير، وفي كل أعمالك وكل خير تريده، وكل شر تريد أن يُحجب عنك عليك بالإخلاص، فالمخلص هو التقي الذي توعد الله بالدفاع عنه فهل تريد شرفاً أكبر من أن يدافع الله عنك؟!.

* * *

ثقافة الاختلاف واحتكار الرأي

منذ أكثر من أربع سنوات دار حوار بيني وبين أحد الأصدقاء والحوار أصبح اختلافًا على مسألة فقهية كنت أنا أستند لقول من أقوال سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وصديقي كان له رأي آخر، ثم انتهى الاختلاف وكل منّا متمسك برأيه وانقطعت الاتصالات بيننا لأسباب كثيرة إلى أن شاء الله أن ألقاه منذ قريب فعندما رأيته وجدته يقدم لي كتابًا يدور حول مسألة اختلافنا بالتفصيل.

تبسمت له ولكنه لا يعلم أن هذه الفترة كنت قد غيرت فكرتي وغيرت رأيي المختلف معه فيه، فقد أيقنت تمامًا أنه على حق وأنا كنت على خطأ ؛لأن أولاً أدلتي ليست كافية، ولأن جوهر رأيي وإن كان صحيحًا ولكن عواقبه في التنفيذ أضر، فأيقنت منذ فترة أنه كان محقًا، كنا مختلفين ولكن لسنا متخاصمين أو في القلب شيء بيننا على عكس ما يحدث الآن من بعض الناس بمجرد الاختلاف يصبح الخصام هو السائد والغيبة والنميمة هما المنهج المتبع بل قد يصبح الأمر أكثر من ذلك.

تعالوا بنا نتخيل أن هذا الكون متشابه في كل شيء، مكرر من صفات وألوان وأجناس وأسماء، هل ترى أن يكون للحياة معنى؟، بل سيكون الملل

والرتابة هما الأساس في الحياة قال الله- تعالى -: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)، فلقد خلق الله البشرية وجعل الناس مختلفين، وجعل هناك أسباباً لهذا الاختلاف منها العوامل الوراثية والبيئة المحيطة بكل واحد فينا، وجَعلنا شعوبًا وقبائلَ لنتعارف، كل منّا له عادات وتقاليد تختلف عن الآخر.

فكم لغة في العالم! وكم جنسية! وكم ديانة! وكم لون! وكم هي العادات المختلفة من مكانٍ إلى آخر!، فكثيرٌ من الناس من لا يستطيع أن يغير عاداته التي تربى عليها وشكلت في فكره وعقليته فوجب علينا عندما نتحاور مع الناس أن نراعي أن لكل واحد منّا ثقافته المختلفة وعاداته الغريبة التي عندما تراها تُذهل وتستغرب منها ولكنها عنده عادية جدًا؛ لأنه تربى عليها ونشأ بها فمن الممكن تغييرها ولكن ليس من مجرد حوار بينكم يكفي لتغييرها.

يُحكى أن حافلة كانت تنقل مجموعة من العلماء لدراسة الحياة البرية في إحدى القرى وعند قرب دخولهم القرية انقلبت الحافلة فمات كل من فيها، فقررت بلدية القرية دفن الجميع في القرية على أن تفتح لأقربائهم يومًا كل أسبوع لزيارتهم فكان من بين العلماء عالم فرنسي وعالم هندي وكان قريب الفرنسي يحمل له باقة من الورد يضعها على قبره وكان قريب الهندي يحمل صحنًا من الأرز يضعه على قبره.

وبعد فترة من الزمن قرر الفرنسي أن يسخر من الهندي وقال له: متى سيقوم قريبك ليأكل صحن الأرز؟، فرد عليه قائلاً عندما يقوم قريبك ليشم رائحة الورد.

فإذا نظرنا إلى الاثنين كل له معتقداته التي بالفعل يستغرب الثاني منها وما باقة الورد إلا كصحن أرز بشكل مختلف، لا يستطيعان أن ينفعا الميت، وصدق الشاعر حين قال:

أمور يضحك السفهاء منها... ويبكي من عواقبها اللبيب

وبخلاف كل ذلك وَجب علينا أن نختلف بأدب وإذا تحاورنا يكون أدب الحوار هي السمة التي بيننا فهناك قاعدة فقهية جميلة تقول (نجتمع فيما اتفقنا فيه ويرحم بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه)، وقال الشافعي - رحمه الله - (ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة).

فالاختلاف أمر وارد جدًا بين الناس ولكن يجب عليك ألا تجعل الاختلاف خلافًا، فهناك من العلماء مَن فرق بينهم، فالاختلاف هو أن يكون الطريق مختلفًا والمقصود واحدًا، والخلاف هو أن يكون الطريق والمقصود مختلفيْن وهناك مَن لا يرى فرقًا بينهما، فلابد لك عند الاختلاف الاستناد إلى الدليل من الكتاب والسنة دون تعصب ودون تحيز، فلو كنت أنت مخطئًا فاعترف بذلك ولا ينقص ذلك من شأنك في شيء، بل على العكس سيكون درسًا لا ينسى ويحترمك خصمك وسيكون حواركما بالنفع لا بالضر.

هل تعلم هارون الرشيد بكل ملكه آنذاك عرض على الإمام مالك أن يعلق

الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه، وفي أن ينقض منبر النبي - صلى الله عليه وسلم- ويجعله من جوهر وذهب وفضة، وفي أن يقدم نافع بن أبي نعيم إمامًا يصلي في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال: يا أمير المؤمنين، أما تعليق الموطأ في الكعبة فإن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اختلفوا في الفروع وتفرقوا في الآفاق، وكل عند نفسه مصيب.

وأما نقض منبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم -واتخاذك إياه من جوهر وذهب وفضة فلا أرى أن تحرم الناس أثر النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأما تقدمتك نافعًا إمامًا يصلي بالناس في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإن نافعًا إمام في القراءة ولا يؤمن أن تنذر منه نادرة في المحراب فتحفظ عليه. قال: وفقك الله يا أبا عبد الله.

قال ابن القيم - رحمه الله -: ووقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لابُدَّ منه لتفاوت إرادتهم وأفهامهم، وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بَغْي بعضهم على بعض وعدوانه.

وقد اختلف الصحابة فيما بينهم في عدة أشياء منها مكان دفن النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أن جاء سيدنا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه – وقال: سمعت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً ما نسيته، قال: ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، بل وهناك اختلاف في قراءة القرآن الكريم بما تسمى القراءات العشر فـ(مالك يوم الدين) تصح أن تقرأ (ملك يوم الدين) كلاهما صحيح وغيرها من الآيات في

الكتاب الحكيم، فالاختلاف موجود منذ قديم الزمان ولكن ما فقدناه هو الخلق والاختلاف بالأدب.

قال الإمام مالك - رحمه الله - :إن اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الأمة كل يتبع ما صح عنده، وكل على هدى وكل يريد الله، فهنا في هذه الحياة وجب عليك عدة أمور مع المخالف، أولها أن تعذره لجهله أو اجتهاده في مسألة الاختلاف وأن تعرف حرمة عرضه وألا تذكره بسوء وأن تصبر على أذاه لو فعل ذلك ووجب عليك الدعاء له بأن ينير الله بصائركم للحق فقد تكونان أنتما الاثنان على الضلال وأنتم تجادلون بالباطل.

فيجب عليك ألا تنكر معروفًا ولو كان ضد رأيك فلن يفيدك تشبثك برأيك عند الوقوف بين يدي الله يوم القيامة، وجب عليك الاعتراف بالحق إذا ظهر أن رأيك خطأ، فكم من أصدقاء وأهل خسروا بعضهم البعض بمجرد الاختلاف!، كل متمسك برأيه، إلى أن نزغ الشيطان بينهم فكانت الفرقة هي النتيجة فوجب عليك قبول الحق مهما كان مخالفًا لرأيك وأن تأخذ الأمر بصدر رحب، فالأهم عدم الانحراف عن المنهج الصحيح والسنة المتبعة، فدائما أكثِرْ من دعاء: اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

* * *

سوءات الفكر

إن العقل البشري يتصرف وفقًا لما تغذيه من معلومات، فإن كانت مدخلات العقل معلومات صحيحة فسيكون الناتج في الغالب صحيحاً، وإذا كانت تفتقد للدقة والصواب؛ فبالتالي يكون الناتج غير صحيح، فعلى سبيل المثال إذا ظننت بأحد الأشخاص شيئًا خطأ وتصرفت بناءً على ذلك الظن ولم تتبين من صحة معلوماتك، فسوف تقوم بظلم ذلك الشخص عندما تكتشف أن ما جاء لك من بيانات عنه غير صحيحة، وهذه الحالة نقع كثيرًا فيها فنحكم أو نتصرف وفقًا لمعلومات خاطئة، ونكون نحن أول الخاسرين.

ماذا لو كانت المعلومات المدخلة إلى العقل تخص شيئًا خطيرًا في حياتنا أو يكون عليها تحديد مصير كبير في المستقبل كمعلومات عن زوج أو زوجة أو عمل أو غير ذلك يؤثر حتمًا فينا، فضلًا عن سوء المعلومات، فهناك شيء أخطر من ذلك، وهو سوء الفكر أو كيف تدير هذه الأفكار لتخرج هذه النتائج، وهذه التصرفات التي تفعلها وفقًا لطريقة تفكيرك؟.

يقول جيمس آلان: أنت اليوم حيث أوصلتك أفكارك، وستكون غدًا حيث تأخذك أفكارك، ولو مررت شريط حياتك تجد هذا الشيء صحيحًا بنسبة كبيرة جدًّا؛ لأن غالب ما تفكر فيه تتحرك نحوه وتهيئ نفسك وعقلك لإنجاز

هذا الشيء حتى ولو مررت ببعض المشاكل والهموم، ستجد نفسك في النهاية تسير حيث تريد وحيث ما يشغل تفكيرك ليلًا ونهارًا.

بعضهم يُشير إليك أن ما أنت فيه الآن نتيجة طبيعية لذنوب ارتكبتها وتراكمت عليك، والحقيقة ليست ذنوبًا فقط، فقد تكون هناك بعض الذنوب تحول بينك وبين توفيق الله لك، ولكن هناك أيضًا سوء فكر تتبعه دائمًا ينقلك من سيء إلى أسوأ، طالما لم تغير مدخلاتك ستكون النتائج حتمًا واحدة، ورحم الله الرافعي حينما قال: أشد سجون الحياة فكرة خائبة يسجن المرء فيها نفسه، لا يستطيع أن يدعها، ولا هو قادر أن يحققها.

الفكر السلبي أيضًا يجلب العداوة الوهمية لمجرد نظرة أو موقف يمر عليك تأخذك مخيلتك لجلب العداوات الوهمية، التي ليس لها أساس من الصحة، وتتفاجأ فيما بعد بأنك تعيش في وهمٍ كبير، وليس للطرف الآخر أي شيء في قلبه من ناحيتك، فالظن السيئ دائمًا يأتي من الفكر السيئ فعليك التحكم في عواطفك التي تجلب لك العداوات دون مبرر، فكل ما تُحدث به نفسك من أفكار سلبية تؤثر في قراراتك، وفي حياتك بشكلٍ عام، والعكس صحيح كلما حدثت عقلك بأفكار إيجابيةكانت النتائج طيبة للغاية، وهذا ما تبينه الدراسات الحديثة أن أكثر من 70% مما نحدث به أنفسنا عبارة عن أفكار سلبية، فالأفكار التشاؤمية تبطئ عمل العقل، وقدرته على التفكير والإبداع.

وعلى الجانب الطبي تقول إحدى الباحثات بكلية الطب جامعة هارفارد، إن الصحة الجيدة لا تقتصر فقط على غياب الأمراض، وإنما تمتد إلى الطريقة التي ننظر بها إلى الحياة ومتغيراتها.

إن التفاؤل والسعادة والمرح ممكن أن تحمي القلب والشرايين من الأمراض، فيتصرف المتفائلون غالبًا بطريقة صحيحة، فيمارسون الرياضة، ويحرصون على اتباع حياة صحية في المأكل والمشرب والنوم، بعيدًا عن العادات الضارة، وهذا واقعي جدًّا؛ لأن نظرة المتفائل للحياة مختلفة تمامًا عن نظرة المتشائم، والمتفائل يجد دائمًا حلولًا، عكس المتشائم الذي يخلق الأعذار في كل شيء يفشل فيه، فكل ذلك بدايته من الأفكار، وكيف تقودك دون أن تشعر.

وعلى الجانب الديني يستحضرني ذلك الموقف عندما أسلم سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه، وقد تأخر إسلامه من بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - عشرين عامًا، فقال له بعض الصحابة بعد إسلامه: لماذا تأخر إسلامك وأنت من أنت في العقل والحكمة؟

فرد عليه سيدنا خالد وقال: كان يسوسنا رجالاً نرى أن عقولهم تزن الجبال، وكنا نتبع أي نسير خلفهم دون فكر.

وهذا الحال يتكرر بالتفصيل الآن بين شباب المسلمين، نرى شباباً يتبع من يرونهم على الحق في كل شيء وتفرض العصبية على قلوبهم، فيدافعون دون فكر ويسيرون دون وعي يغضبون إذا بيّنت لهم الحقائق، ويثيرون وينصبون لك العداء فقط؛ لأنك وضحت لهم أنهم على خطأ.

وأيضًا هل تتذكر كيف كان تفكير الكفار في الجاهلية ومنذ بدأ الخلق، كان تفكيرهم غريبًا للغاية وعقولهم لا تعمل مطلقًا، إذ كانوا يصنعون تماثيل من العجوة والخشب، يقومون بعبادتها ثم يأكلوها، ويصنعونها ثم يبيعونها، فكيف يصنع الإنسان شيئًا ثم يقوم بعبادته، ومنهم من ينحته بيده ثم يسجد له؟!.

وما أجمل ما قاله سيدنا إبراهيم لهم عندما كان طفلًا صغيرًا، وكان والده يعمل نجارًا، ويقوم بصنع هذه التماثيل، ويرسل سيدنا إبراهيم - عليه السلام - إلى السوق، فكان وهو طفل يقول للناس: اشتروا ما يضر ولا ينفع، وظل يراود عقله ويرفض كل ما يعبدونه من أصنام وغيرها، حتى عندما رأى الشمس والقمر والكواكب كل ذلك قام برفضه عندما عرض على عقله، وقال:

(إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين)، وإذا كان الكفار والمشركون تفكيرهم بهذا الشكل منذ قرون

عدة، فاليوم مع كل هذا التقدم العقلي تجد من يعبدون البقر وغيره، وما زالوا مصدقين ومقتنعين بما يفعلون؛ بل تجد من يتهمك أنت بالكفر.

كل ذلك من سوءات الفكر التي تتحكم في حياة البشر، قد تكون أنت أيضًا تحمل فكرًا به اعوجاج، أو فكرًا يؤدي بك إلى طرق مغلقة تدفع بها الثمن من عمرك ونفسك ومالك؛ لكي تعيد التوازن مرة أخرى، ولكن عليك التأني في أخذ القرارات، وإعادة الفكر أكثر من مرة، ولا تنسَ الاستخارة والاستشارة لمن هم أعلم منك، واستفتِ قلبك، وفي الأخير وازن بين قلبك وعقلك، ثم توكل على الله.

* * *

قلوب لاهية

كان أحدهم يصلي بجواري فرنّ هاتفه الجوال فأخرجه من جيبه وأخذ يقلب فيه مدةً طويلة وكأنه خارج الصلاة، وكنت أتوقع أن السارق من صلاته هو فقط الشارد بذهنه ولكن الموضوع تطور كثيرًا وأصبح مع الشرود أشياء أخرى من التفات وموسيقى وغيرهم، تحول بينه وبين نظر الله إليه، قال حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه -: (أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون الصلاة، ورب مصل لا خير فيه، ويوشك أن تدخل المسجد فلا ترى فيهم خاشعًا).

فإن من أعظم الآفات التي تبعدنا عن جوهر الدين هو الاهتمام فقط بالظاهر وترك الباطن بما يحوي، فما فائدة الظاهر المدعي التقوى مع قلوب تحمل غلًّا وحقدًا على عباد الله، وما فائدة من يحج ويعتمر ويصلي الأوقات كلها في جماعة وهو يقطع أرحامه؟، وما فائدة منتقبة وملتحٍ ولا يتقيان الله في أفعالهما وتصرفاتهما مع خلق الله؟، إن الإسلام كُلٌّ لا يتجزأ ولا تستطيع أن تأخذ ما يهواه قلبك وتترك ما يثقل عليك، فإنه دستور عظيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولم يترك الله لنا شيئًا إلا وبين حكمته ولكن المشكلة كانت بيننا فأخذنا ما نهواه وتركنا ما لا نحب.
بعض الناس عندما يتناولون الطعام يتخذون البلع طريقًا لهم كأنهم يريدون

فقط امتلاء المعدة والسلام ولا يريدون التلذذ بالطعام والشراب الذي أمامهم، وهكذا حال المعجل لصلاته كأنه يريد أن يتخلص من الفرائض سريعًا وكأن راحته في انتهاء المهمة ولكن الصلاة راحة كما قال عنها الرسول - صلى الله عليه وسلم - لسيدنا بلال - رضي الله عنه - أرحنا بها يا بلال.

المطلوب فقط أن يعي الإنسان ما يقول من قراءة الفاتحة بتدبر وبعض آيات القرآن التي تُتلى أو يقرؤها ويستوعب معناها على قدر المستطاع من فهمه، وهذا الخشوع لا يحصل إلا من خشوع القلب ولا يخشع القلب إلا بإفراغ الشهوات منه والإقبال على الله بتوبة وخضوع وكما يقول ابن مسعود - رحمه الله - (اطلب قلبك في ثلاثة مواطن، عند سماع القرآن، وفي مجالس الذكر، وفي أوقات الخلوة، فإن لم تجد فاسأل الله أن يمن عليك بقلب، لأنه لا قلب لك)

ولأن الصلاة عمود الدين ولأن الله لا يتقبل من قلب لاهٍ، ولأن الفلاح مرتبط بالخشوع في الصلاة، ولأن الخشوع هو الطريق لانكسار القلب بين يدي الخالق، والقلب إذا خشع تبعته كل الجوارح والأعضاء، فكان لابد من الاهتمام بالخشوع وجعله هدفًا أساسيًا من أهداف العبد في صلاته، إن الخشوع ليس وليد لحظة ولا اجتهادَ يومٍ وإنما الخشوع يحتاج إلى عمل من قبل قدومك للمسجد يحتاج إلى تفريغ القلب من الشهوات والشبهات وحب الدنيا، يحتاج إلى خشية الله قبل الصلاة وقبل قدومك إلى بيته، يحتاج إلى

الوقوف عند حدوده قبل أن تقف على أبواب مساجده، فإن الصلاة جسد وروحها الخشوع ولا فائدة من صلاة بلا خشوع، فارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ، ورب قائم ليس له حظ من قيامه إلا السهر والتعب.

إن الطريق للخشوع يحتاج إلى بعض الجهد مع اليقين بأن الله يهدي عباده المجاهدين (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) وإننا نفعل بعض الأشياء التي اعتدنا عليها كل يوم فنقوم بعملها يوميًا بشكل تلقائي كمثل الدابة التي اعتادت على طريق بيت صاحبها فتعود دون قائد، فنقف بين يدي الله دون شعور ونردد الفاتحة دون وعي معانيها، ونردد آياتنا القصيرة دون تغيير لباقي آيات القرآن العظيم، وكأننا لا نريد أن نحفظ إلا بعض آيات الجزء الثلاثين ونردد الأدعية المحفوظة في عقولنا الباطنة دون تغيير.

لقد حان الوقت لمعرفة كيف نخشع بالقليل من الجهد من حفظ آيات جديدة مع قراءتها في صلاتنا بتدبر وتنوع في الأدعية والمناجاة لله، مع استحضار عظمة الله - سبحانه وتعالى - في قلوبنا فقد تكون آخر صلاة لنا، فإن من شروط إجابة الدعاء أنه لا يتقبل الله من قلب غافل لاهٍ، فلنقبل على الله بقلوبنا قبل أبداننا وليخشع القلب حتى تخشع الجوارح حتى يتقبل الله منّا.

* * *

الغربة وقسوة القلوب

أخبرت صديقاً لي بأن أحد أقاربه قد وافته المنية منذ قليل، فأردف قائلًا (الله يرحمه)، دون أثر حزن أو ضيق على فراقه أو فقده كحبيب وقريب، فتعجبت منه: لماذا لا يرى عليه أثر الحزن أو الضيق لفراق أحد أفراد عائلته؟ فقال لي بلا مبالاة: إنه هنا في بلاد الغربة منذ ثمانية أعوام، قد اعتاد على فراقهم، فأصبح الأمر عاديًا بالنسبة له، وأصبح غيابه أمرًا عاديًا بالنسبة لهم أيضًا، بل عندما تطول إجازته في زيارتهم قد يستشعر بالثقل عليهم، بالرغم من أنه في داره، ولكن اعتيادهم على بعده أصبح مألوفًا.

إنها الغربة يا صديقي التي قست القلوب؛ لأن البعد أورث الجفاء فيها، والبعيد عن العين بعيد عن القلب، فأصبحت معتادًا على البعد وفراقهم ،ومتوقع لأي خبر يأتي إليه؛ لأنه ببساطة الغريب كالميت، ولكن بشكل آخر.

هذا طبعًا بخلاف من أُخرجوا من ديارهم بغير حق، فليست الغربة لهم اختيارًا، وإنما اضطرار، وهؤلاء لا تورثهم الغربة إلا عزًا وقوة.

لا شك أن للسفر فوائد، ولا شك أن بداية الغربة كانت مختلفة، فقد كنت أتوقع أن أجلس عامًا أو عامين فقط، وأعود إلى وطني، ولكن العام زاد إلى

عامين، والعامين إلى ثمانية، وأنا أتوقع أن أعود مُحمّلًا بالأمراض، ولكني أعود بالأموال التي أجمعها من الغربة، لكي أعالج هذه الأمراض التي أورثتها الغربة والوحدة القاتلة.

في كل الحالات يا صديقي لا أحد يعجبه حاله، المقيم في وطنه يحسدك على ما أنت فيه من نعم بخروجك فقط من وطن يعج بالمشاكل والفوضى، وأنت تغبطه على وجوده بين أهله وأولاده، وكلاكما يصارع في صمت.

هل تعرف يا صديقي أن أغلب مشاكلنا أننا نعيش في المستقبل ولا نعيش الحاضر؟، دائمًا نعبر الجسر دون أن نأتيه، دائمًا قلقون من المستقبل، بالرغم من أنه لم يأت بعد، نعيش بطول أمل غريب جدًا، بالرغم من أن حوادث الموت أمامنا تقول غير ذلك، كأننا نجري وراء سراب نحسبه ماء؛ لأننا ظِماء لا يروى عطشنا قط، صراع مستمر مع الحياة لا يملأ الحمد قلوبنا، حتى ولو ملأ ألسنتنا، ولكن القلوب لم تحمد بعد.

حال المغترب يا صديقي كحال المُسوِّف لبعض أعماله، كل يوم يقول قد اقترب اللقاء، وسأستمتع قريبًا بالحياة، ولكنه في سباق مستمر لا يقف لكي يستمتع بالحياة كل يوم يمر عليه يقول: غدًا سأقف وأرتاح وغدًا لن يأتي أبدًا، وتمر منه السنون دون جدوى، ويرى نفسه أمام نهاية المطاف، ولا يحمل إلا القليل من الماء، والكثير من الأمراض، غير أنه خسر الكثير من الأشياء، خاصة إذا تربى أولاده بعيدًا عنه، وأصبحوا عنه غرباء، وأصبحت

زوجته معتادة بعده، فعند حلول العودة يتعجبون من ذلك الغريب في بيتهم.

أصعب إحساس تجده بعد طول غربة أن تشعر أيضًا بالغربة في وطنك، وكأنه ليس هو الوطن الذي تركته منذ سنين، والناس تنظر إليك نظرة مختلفة، وكأن بينك وبين الوطن جداراً وعازلاً كبيراً، تحتاجون لسنين أخرى كي تعتادوا على بعضكم البعض، هذا إن استطعت أن تعيش فيه.

إن قسوة القلوب لا تبنى على حالة أو حالتين أورثتها الغربة قسوة وألمًا، وإنما البعض مهما زادت الغربة بهم شدة زادت قلوبهم رحمة، وبعدهم عن أبنائهم ما زادهم إلا اشتياقًا، وإنما نتحدث عن البعض الذي أثرت عليه الغربة بالسلب، فترك نفسه لها فأصبح أسيرًا لها.

وهنيئًا لمن تعلم من حال المغتربين وقارن نفسه واستقرأ مستقبله بعد الغربة قبل القرار والفرار من الأوطان وجمع شمله مع أولاده، حتى وإن إضطر للغربة، فلابد أن يحملهم معه، فقد يكون هذا أقل الأضرار، أصلح الله لنا أوطاننا وجمع شملنا وألّف بين قلوبنا والسلام.

* * *

مداواة القلوب

إذا تأملت حال سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتتبعت حياته وجدت عجب العجاب، ولِمَ لا وهو الصديق الذي فضائله لا تعد ولا تحصى، فلنقف لحظات مع قلب أبى بكر، وما أدراك ما قلبه؟ فكان يقول بكر المازني رحمه الله: "ما سبقهم أبو بكر بكثير صلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقر في القلب". فإذا قارنت بين الصحابة فستجد في الفقر من هو أفقر منه وفي تحمل العذاب من هو أشد منه وفي الغزوات من جاهد وخرج أكثر منه وأيضا لم يختم له بالشهادة مثل بعض الصحابة، ولكن كان أحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو اتخذ الرسول خليلا لاتخذ أبا بكر خليلاً، وكان أول العشرة المبشرين بالجنة وفضائل كثيرة جدا عنه، لماذا؟، لأنه يحمل قلبًا مختلفًا عن باقي القلوب فأعمال القلوب هي التي أبلغته أعلى المنازل، فلا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ولا يتصدر الناس يوم القيامة إلا القلوب السليمة ولا ترفع الدرجات إلا بالقلوب السليمة

وبما أن قسوة القلوب هي عقاب من الله لعبده وأن قسوة القلوب تحرم العبد من التضرع لله وأن القلوب القاسية ضعيفة أمام الفتن وهي في الأصل نتيجة طبيعية لعدم ذكر الله فلذلك وجب علينا البحث عن علاج للقلوب التي أتعبها الران وزاد في ثقوبها

فإن قسوة القلوب تحرم العبد حتى من التضرع إلى الله عندما يبتلى بالأمراض والمصائب والهموم فإنه من الطبيعي أن يلجأ الإنسان إلى ربه حال وقوعه في هذه المصائب ولكن قسوة القلوب تكون حائلاً بينه وبين ذلك كما أخبر سبحانه وتعالى (فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

إن أهم الاسباب الرئيسية لقسوة القلوب هو البعد عن ذكر الله تعالى وكثرة الذنوب والمعاصي، قال الطبري رحمه الله في تفسير قول الله تعالى (وَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ): إن قلوبهم قست ببعدهم عن ذكر الله، وجاء رجل إلى الحسن البصري يشكو إليه قسوة قلبه قال له: أذِبْه بالذكر

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:(الذكر للقلب كالماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا أخرج من الماء)

إنه القلب الذي تغير كليًا وأصبح فاسدًا يحمل الوهن والران والضعف يحمل حب الدنيا وكراهية الموت، يحمل آفات الذنوب التي اختلى بها ولم يراعِ الله في أمانته، فضعف شيئاً فشيئاً، هذا القلب هو سيد الأعضاء بل هو الملك الذي إذا صلح: صلح الجسد كله وإذا فسد: فسد الجسد كله، فكان أولى بنا أن نهتم بذلك العضو الذي هو مسؤول بالكلية عن باقي الأعضاء، القلب هو الذي يحمل كل ذلك يحمل الكره والحب والغيرة والإيثار وغيره من الأشياء الحميدة وأيضا من الأشياء السيئة وهناك قصة

لسيدنا لقمان - عليه السلام - عندما قال له سيده: اذبح لنا شاة وأتِ لنا بأطيب ما فيها فأتى بالقلب واللسان، وعندما أمره أن يأتي بأخبث ما فيها فأتي بالقلب واللسان أيضا وقال لا شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا

فالقلب وعاء يحمل نيتك وأفعالك الكلية من خيرٍ وشرٍ فقد تظهر أمام الناس بشكل ولكن القلب يحمل شيئاً آخر، فلذلك كانت العبرة بالنيات وهي التي على أساسها نرزق،

ومن أجمل ما قال ابن القيم -رحمه الله -

إن في القلب شعثاً : لا يلمه إلا الإقبال على الله، وعليه وحشة: لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن : لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق: لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات : لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلب شديد: لا يقف دون أن يكون هو وحده المطلوب، وفيه فاقة: لا يسدها إلا محبته ودوام ذكره والإخلاص له، ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبداً.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله لبعض الرجال: إذا خرج عليك كلب الغنم ماذا تفعل، قال: أرميه بحجر قال: فإن رجع إليك قال: أرميه بحجر

قال فإن رجع إليك قال: أرميه بحجر قال الفضيل: هذا أمر يطول فقال الرجل وما العمل يا أبا علي، قال: عليك برب الكلب.

ومع اختلاف التشبيه ولكن البداية تبدأ دائما بالشكوى إلى خالق القلب، وهو الله - سبحانه وتعالى -، فاشكُ لله قلبك، وادع الله أن يصلحه فهو من خلقه وهو من يتولَّى أمره فاشكُه وأنت على يقين بأن الله هو القادر على إصلاح قلبك

فالخلاصة أن القلب هو سيد الأعضاء وصلاحه صلاح الجسد كله وفساده فساد الجسد كله فلابد من الاهتمام به، والاهتمام به يحتاج إلى تفريغ القلب من أمراضه ومعالجة هذه الأمراض حتى يشفى بإذن الله، والله جعل لنا لكل داء دواء فجعل دواء القلب في ذكره ومراقبته وجعل القرآن ربيعاً للصدور وجعل الاستغفار جلاء للذنوب، فأصل كل مصيبة هي الذنوب فهجر المعاصي والذنوب بداية العلاج الصحيح والدعاء بإصلاح القلب، معرفة حقيقة هذه الدنيا، ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض، فلا تعرف ماذا أخذ من أخيك وأعطاه ما تتمناه أنت لنفسك فالرضا يجلب طمأنينة النفس فأعد ترتيب حساباتك مع قلبك وأفرغ الشهوات وحب الدنيا والمنافسة في هذه الدنيا من قلبك وتابع قلبك حتى لا يقسو ويموت في وسط هذه الغفلة فإن غفلت عنه فلا تلومن إلا نفسك.

* * *

تخلص من اكتئابك

الاكتئاب هو حالة من الحزن الشديد تطرأ على قلب الإنسان؛ نتيجة لسبب معلوم، أو غير معلوم، ومن أهم أسبابه الجوهرية: البعد عن الله عز وجل، وكثرة الذنوب والمعاصي، ثم عدم وجود هدف له في الحياة الذي يؤدي بالطبع إلي الفراغ القاتل، والذي هو منبع كل هم وغم.

وهناك أسباب كثيرة جدًا للاكتئاب والحزن، منها: البطالة، وتأخر الزواج، وتأخر الإنجاب، والحرمان، وفقد الأحبة، والغربة، وفقدان الأخلاق في المجتمع، وعدم القدرة على ممارسة دينك، وتكرار الفشل، وضعف الإيمان، والإصابة بالأمراض، وقلة ذات اليد، وغيرها من المشاكل التي تمر على الإنسان في كل يوم وليلة، وقد تصيبه بالاكتئاب والحزن والقلق.

كيف الخلاص؟.

1- كثرت من حولنا العلاجات النفسية، والعقاقير والأدوية، والمسكنات والمهدئات، ولكن يبقى شيء واحد يُخلصك من اكتئابك بسهولة وأمان، وهو تسليم النفس لخالقها بالإقبال على الله، والدعاء والمناجاة، وتعظيم نعم الله عليك، قال الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله -:(إنّ البعد عن الله لن يثمر إلا علقما، ومواهب الذكاء والقوة والجمال والمعرفة تتحول كلها إلى

نقم ومصائب عندما تتعرى عن توفيق الله، وتُحرم من بركته)، فمن أفضل أسباب انشراح الصدر وعلاج الضيق: التسبيح والسجود،) ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين).

2- في الأصل أنت خُلقت للعبادة، فإذا ضيعت هذه العبادة بتضييعك للصلاة وغيرها، فلا تلومن إلا نفسك؛ لأن الله – تعالى- يقول : ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا(، فكن عبدًا لله بحق، ولكن بشرط واحد أن تكون مخلصًا لله فيما تفعل، بمعنى ألا يكون إيمانك إيماناً ظاهرياً فقط، بل يكون إيماناً جوهرياً داخلياً ينبع من القلب مطلعاً عليه الله، ولذلك المتدين الظاهري فقط قد يكون أكثر عرضة للاكتئاب من غيره.

3- أكبر أعدائك في هذه الدنيا بعد شيطانك هو الفراغ والجهل، لذلك وجب عليك ألا تكون فارغًا أبدًا، وأن تبحث دائما عن المعرفة والعلم في كل مكان، فإذا عرفت قيمة وأهمية الوقت كنت من الذين تمنوا شراءه، فإذا فرغت فانصب، فإن العاطلين أموات.

4- إن الانشغال بالمستقبل بطريقة الاغتمام يؤدي ذلك للاكتئاب الحاد والتفكير في أخطاء الماضي، مثل الذي يكتب على الماء، فاجعل تفكيرك في المستقبل عبارة عن تخطيط واستقراء، وليس اغتمامًا لما سوف يحدث فهو في علم الله، وتَعلم دائما ألا تعبر جسرًا حتى تأتيه، وعش في حدود يومك،

وكل هذا حتمًا سَيمرُّ، والماضي انتهى وسُجل به ما سُجل فلا تتذكر منه إلا الطيب، واترك الأخطاء والخيبات ومواقف الضعف التي مرت بك فلن تعود مهما أتعبت أعصابك، وكما قيل: مَن يحمل الماضي تتعثر خطاه.

5- احتفظ دائما ببعض الأصدقاء المخلصين إليك، وعندما تشعر ببعض الضيق اتصل بأحدهم واقض وقتاً معه، أو قدم مساعدة لبعض الناس فهناك سعادة تنعش القلب مع قضاء حوائج الناس، خض هذه التجربة بنفسك.

6- كن رياضيًا وعندما تشعر بالملل أو الضيق مارس رياضتك المفضلة أو رياضة المشي، فالرياضة أثبتت بالتجارب العلمية والعملية أنها تغير المزاج وتنشط الدم وتجلب السعادة، فاجعلها عادة.

7- هناك أفكار سلبية تطرأ عليك، ليس لها في أرض الواقع مكان، لكن هي في مخيلتك فقط، ومن وساوس الشيطان إليك، ثق بأنك عندما تتخلص منها أو تغير هذه الأفكار إلى أفكار إيجابية مع تفاؤل وحسن ظن بالله ستتغير نفسيتك وتشعر بالسعادة والأمل.

8- عَظّم نعم الله عليك، وانظر إلى من أقل منك، ولا تعطِ الأمور أكبر من حجمها، فكم من أمر عشت تحمل همه أضعاف مما هو يستحق!، وكم من مشكلة نجاك الله منها دون أن تشعر!.

9- الوظائف والأعمال التي نعملها لها دور كبير في جلب الاكتئاب إلى نفوسنا، فغالبًا لا يوجد شيء في هذه الدنيا، إلا ويحتاج إلى صبر، ولذلك كان الصبر نصف الإيمان، فكن صابرًا على وظيفتك، وحاول التأقلم مع واقعك، وأبحث عما هو أفضل إليك، وكن ساعيًا وباحثا عن عمل إذا كنت فارغًا.

10- العلم ومجالسة العلماء تجلب السعادة، ومعرفة حقيقة الدنيا فكن طالب علم دائم، ولا تنقطع عن الجلوس مع العلماء والقراءة، تغذي العقل وتهذب النفس وتجلب الطمأنينة، وخير جليس إليك في وحدتك.

11-التقوى والصدقة حل أكيد لعلاج الاكتئاب قال – تعالى -: "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى"، " ومن يتق الله يجعل له مخرجا"، فإذا طرأ على نفسك شعور بالهم فقدم صدقة، ولتكن مما تحب وانتظر الفرج مع كثرة الدعاء.

12- من الأشياء التي تجلب الطمأنينة في القلب أن ترضى بما كتبه الله إليك من صحة وعلم وزوجة ومال وأولاد وأهل(ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض)) فخذ ما آتيتك وكُن من الشاكرين).

13- هذه الدنيا ملعونة بنص الحديث (الدنيا ملعونة، ملعون كل ما فيها، إلا ذكر الله، وما والاه، وعالم ومتعلم) فاقبلها كما هي فهي سجن المؤمن

وجنة الكافر، لست وحدك فيها، تمر بهذه الظروف، وتعيش في كدر، فمصائبك بالنسبة لغيرك هينة، فاحمد الله، واطلب منه العفو والعافية.

14- تذكر على فراش الموت أنه لن ينفعك إلا عملك الصالح في الدنيا، فلا شيء فيها يستحق لحظة حزن، إلا على تقصير نحو عبادة الله ومعصيته، فالمطلوب منك السعي والحرص على ما ينفعك والنتائج من الله، ووجب عليك الرضا أياً كانت النتائج.

15- وفي النهاية عندما ينتابك شعور بالاكتئاب غيّر من روتينك اليومي، وافعل شيئا جديدًا، وعليك بالنوم الجيد والطعام الصحي، تناول الشوكولاتة أو العصائر الطازجة، اتصل بشخص لم تحدثه منذ زمن، داعب الأطفال، اقرأ رواية أو كتابا ممتعاً، فكر في أحداث ماضية مفرحة أو حققت فيها إنجازات، احلم بمستقبل أفضل وحياة جميلة، لا تأخذ أدوية للاكتئاب، وتذكر دائماً (إحنا في رحلة).

* * *

الحياة العارية

الحياة العارية هي التي أصبحنا نعيشها الآن بعد أن كشف حياءها برامج التكنولوجيا الحديثة، من فيسبوك وتويتر وواتس آب وغيرها من البرامج التي أسأنا استخدامها بسوء تصرفاتنا نحن، فلم يكن المقصود من صنع هذه البرامج وتطور هذه التكنولوجيا أن ينشر الناس كل ما هو مفيد وغير مفيد أو ينشرون صورهم في منازلهم وأحوالهم التي يمرون بها على مدار اليوم.

فمن يرزق بأطفال يتناسَ أن غيره محرومٌ منهم وينشر صور أطفاله من عمر يوم حتى يقوموا هم بأنفسهم بنشر صورهم، ثم يأتي بعد ذلك يشكو من الحسد والضغينة عند الناس وهو لا يعرف أن من الحسد من تقدمه أنت للناس بسوء تصرفك، ألا تعلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم – قال: (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان؛ فإن كل ذي نعمة محسود)

فيجب عليك أن تفهم بأن هذه البرامج والصفحات أصبحت مثل الشارع والحياة العادية، يحدث منها الحسد والعين ويحدث منها الكره والخصام ويحدث منها أشياء كثيرة تعبر عن مجتمع فُصل عن واقعه، فأصبح يجد نفسه في عزلة بعيدة عن أهله وأقربائه ويجدها في التصفح والمحادثات، كثيراً من هذه البرامج كانت سببًا لفقد الناس القريبة وكسب البعيد،

شغلت الناس عن العبادات وصلة الأرحام واكتفى كل شخص بهاتفه ينظر إليه في كل وقت، وفي تحركه وفي مواصلاته وفي عباداته ولا يتركه إلا عند النوم.

ثم تجد امرأة فاتنة الجمال تنشر صوراً لها على الصفحات دون مبالاة بما تفعله أحلال أم حرام؟ هل سيضرها أم لا؟، تفعل ذلك بمنتهى السرور وتفرح بكلمات تقال عليها من الثناء والإعجاب، لا تبالي إن أُخُذت هذه الصور وتم تعديلها أم لا، كل ذلك ليس مهماً لديها ولكن المهم هو الثناء الذي أصبح بعضنا لا يتشبع إلا به وكأن النقص لديهم في الثناء.

ثم تجد أشخاصاً يكتبون نشعر بالمرض وآخر يكتب يشعر بالأرق والآخر يكتب يشعر بالارتباك وشعور غريب ينتابك وأنت تقرأ كل شعور من هؤلاء، ومن المثير للسخرية أن تجد شخصاً يجلس لتناول العشاء يقوم بتصوير ذلك العشاء ويكتب بجوار الصورة تفضلوا! لا أدرى، ما الفائدة من ذلك؟، وتجد آخر يقوم بتصوير زوجته ويكتب بجوارها بعض الكلمات لا أدري هل النخوة ماتت في بعض الذكور، أم كلمات الغزل لكل من شاهد زوجته تجلب له الثناء بأن اختياره صائب وأنه يمتلك زوجه جميلة؟ ما هذه العقول؟!!

كيف تعيش الناس وسط هذا العري التام من الحياة المكشوفة للجميع، فالكل يشاهد ذلك وليست كل النفوس طيبة فإن من ينعم الله عليها

بالخطبة كثيرات هم الذين يتمنون ذلك فلا تسمح للقلوب المريضة أن تحقد، فإن كان ولا بد فيكون بين الذين تضمن سلامة صدورهم ومحبتهم لك وهذا في كل منشوراتك.

ومن ينعم الله عليه بالحج أو العمرة بعضهم يتطلع إلى إظهار الصور بسرعة شديدة وبعضهم وهو مازال بداخل المسجد لم يذهب، ومنهم من يتصور ساجداً أو داعياً كل هؤلاء لم أحمل لهم إلا النية الطيبة ولكن نصيحتي لهم بإحسان نواياهم مع الله حتى لا يصيب عملهم بالرياء والسمعة، وحتى لا يصابوا في نفوسهم من أذى من بعض من يغفلون عن ذكر الله أو ممن تصاب قلوبهم ببعض الأمراض.

* * *

معوقات تحصيل العلم في زماننا

الناظر إلى حال الكثير الآن من طلاب العلم مقارنة بالسابقين من أهل العلم، يجد الفرق كبيرًا جدًا بين تحصيل العلم عند هؤلاء وهؤلاء، فالانشغالات التي طرأت علينا في هذا الزمان من مشاكل وضغوط نفسية وملهيات كثيرة أدت إلى صعوبة استدعاء المعلومة مع صعوبة شديدة في إدخالها وحفظها، فضلاً عن العمل بها.

فعندما نتذكر أسلافنا نجد على سبيل المثال الصحابي الجليل " زيد بن ثابت " رضي الله عنه تعلم لغة اليهود في نصف شهر، وحدث ولا حرج عن الإمام الشافعي - رحمه الله - الذي حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين وحفظ الموطأ وهو ابن عشر سنين وقال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة،

ولا ننسى عطاء بن أبي رباح - رحمه الله - مفتي الحرم الذي قال عنه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما-: إني لأعجب لكم يا أهل مكة أتجمعون لي المسائل لتسألوني عنها وفيكم عطاء بن أبي رباح؟، ولم يصل عطاء بن أبي رباح إلى ما وصل إليه إلا لأنه أحكم سلطانه على نفسه فلم يدع لها سبيلاً

لترتع فيما لا ينفع وأحكم سلطانه على وقته فلم يهدره في فضول الكلام والعمل،

وقرأ ابن حجر معجم الطبراني في جلسة بين الظهر و العصر، وهذا الكتاب يشتمل على نحو ألف وخمسمائة حديث وقرأ سنن ابن ماجه في أربعة مجالس، وطالع عبد الله بن محمد فقيه العراق المغني ثلاثاً وعشرين مرة، وجالس عبد الله بن نافع الإمام مالك خمسة وثلاثين عامًا، وقال أبو زرعة كان الإمام أحمد يحفظ ألف ألف حديث أي مليونًا وعن نفسه يحفظ مائتي ألف حديث، وابن الجوزي رحمه الله من المصنفين المكثرين قيل لو قُسمت الكراريس التي ألفها على أيام حياته، لحظي كل يوم تسع كراريس وقدرها بعضهم بثلاثمائة مصنف.

وإذا نظرنا إلى الإمام النووي رحمه الله وكثرة تصنيفاته نرى عجب العجاب فبدأ بطلب العلم متأخراً بالنسبة لزمانهم وكان عمره تسعة عشر عامًا في عام 649 هـ وكانت وفاته في عام 676 هـ عن عمر 45 عامًا، وانظر إلى كم المصنفات التي صنفها فبارك الله له في علمه ووقته حيث إنه عمل على التحصيل ست سنين ثم اشتغل بالتصنيف فكان رحمه الله لا يضيع وقتاً إلا في الاشتغال بالعلم وقيل عنه في ذلك أنه جعل تصنيفه تحصيلاً وتحصيله تصنيفًا ولولا ذلك لم يتيسر له من التصانيف ما تيسر، أي جعل التأليف وسيلة للتحصيل وجمع بين الاثنين فصنف من تلقيه العلم

مؤلفات ضخمة تروي العطشى من طلاب العلم حتى الآن بل المسلمين جميعا فقد قال النووي في كتابه شرح المهذب وينبغي أن يعتني بالتصنيف، لأنه يطلع على حقائق العلم ودقائقه ويثبت معه لأنه يضطره إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتحقيق والمراجعة، والاطلاع على مختلف كلام الأئمة، وواضحه من مشكله، وصحيحه من ضعيفه، وجزله من ركيكه، وما لا اعتراض عليه من غيره، وبه يتصف المحقق بصفة المجتهد، وهذه الطريقة فعلها الكثير بخلاف النووي رحمهم الله جميعا، فكان النووي رحمه الله يحضر في اليوم الواحد اثنى عشر درسًا.

وأما الحال الآن لطلابنا فيوجد بفضل الله الكثير من الطلاب الماكثين على العلم ومنهم الكثير الموفق بين الحياة الخاصة من زوجة وأولاد وعمل وبين طلب العلم والجلوس بين يدي العلماء ولكن لا شك أن هناك معوقات تقف دائما في طريق طالب العلم خاصة في أيامنا الحالية ومنها على سبيل المثال

- كثرة الملهيات والتشتيت من حولنا بعكس السابقين كانت حياتهم خالية من الكثير مما نراه الآن من أشياء طرأت علينا وشغلتنا عن طلب العلم وحضور مجالس العلماء.

- الجوال بما يحويه من برامج وغيره شغلت الكثير من الناس فيما لا يفيد على الأكثر وقليل هو المفيد منه.

- الانشغال بطلب الرزق مع ارتفاع وتيرة الحياة المادية وزيادة المطالب على الشخص الذي يريد طلب العلم، فحدث قهر داخلي بين ما يريده وبين ما يجب أن يفعله يوميًا لتوفير احتياجاته.

- انشغال الناس بالسياسة فأصبح أكثر أحاديث الناس في السياسة وترك العلم ومجالسه.

- من أكثر الأشياء الآن التي شغلت الناس الإنترنت وما يحويه من مواقع تواصل وضياع أعمار الناس في المطالعة والتصفح اليومي لما يسمى الآن بالسوشيال ميديا فأصبح الوقت يمر بين قراءة المنشورات ومطالعة الأخبار الكاذبة والرديئة ولابد لمن أراد العلم أن يحذر من هذا الخطر الجسيم الذي قلما تجد من لا يقع فيه واستخدام الإنترنت في المواقع المفيدة الكثيرة الأخرى.

- كثرة المعاصي والفتن من حولنا، فعندما نتذكر الإمام الشافعي رحمه الله في مقولته الشهيرة، شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي، فماذا عن المعاصي التي نحياها الآن والتي تحول بيننا وبين العلم وتحصليه؟؛ فالتقوى هي الطريق الأقوى للوصول للعلم النافع.

- سوء النية وعدم الإخلاص في العمل مما أدى إلى حدوث رياء في القلب فكان الكثير من طلاب العلم يقع لديهم اختلاط النية فوجب عليك الجهاد مع النفس في هذه المسألة حتى يرزقك الله من فضله ويتقبل عملك.

- ضعف توقير العلماء لدى البعض ونشر ذلك بين الناس مما أدى إلى نفور بعض ضعاف القلب من بعض العلماء وإن كان هذا بعيداً شيئاً ما عن طلاب العلم، فلابد من توقير وتقدير واحترام العلماء مع الحضور معهم في مجالس العلم لأن من أخذ العلم بدون عالم ضل وكان خطؤه أكثر من صوابه.

- الكبر والاستعجال في تحصيل العلم عند بعض الطلاب، فقد قال الشافعي رحمه الله : لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذل النفس، وضيق العيش، وخدمة العلماء أفلح، وقال أيضا: لا يدرك العلم إلا بالصبر على الذل.

- التعصب وهذا شيء عجيب على طلاب العلم فمن المفترض أن العلم يؤدي إلى الفهم والإنصاف وترك التعصب والتمسك بالرأي، فوجب على طالب العلم البحث عن الحق والصحيح دون تعصب.

- الجهل بالطرق الموصلة للعلم، والحل في هذه المسألة من وجهة نظري هو البحث عن الصحبة الصالحة وتلقائيًا يأخذون بيدك إلى أماكن ومجالس العلم ويدلونك على حلقات الذكر.

- قلة الصبر وعدم المثابرة عند بعض الطلاب الآن فبعضهم يستصعب قراءة مجلدات بالألف صفحة وينظر إلى ذلك على أنه إرهاق ويشق عليه السفر بعض الأحيان لحضور مجالس العلم فلابد أن يعلم طالب العلم أن العلم لا ينال براحة الجسم أبدًا ولو نظر لحال السابقين لرأى عجب العجاب في ذلك.

وهناك الكثير من المعوقات التي تعوق طريق طالب العلم، ولكن في النهاية أدعو كل من يريد العلم بتجديد النية لله تعالى وعدم اليأس وبذل المزيد من الجهد حتى يصل لمرتبة العلماء الذين هم ورثة الأنبياء

* * *

أهواء الدعاة الجدد

من أساسيات الدعوة إلى الله أن يكون الداعي على بصيرة، خاصة في الأمور الفقهية، والتي تتطلب الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على عكس الأمور البسيطة التي يجب على كل مسلم أن يدعو إليها مثلًا دعوة تارك الصلاة أو الدعوة إلى صيام رمضان، كل ذلك لا يحتاج بالضرورة إلى عالم متفقه في الدين، وإن ما يحدث الآن فوضى عارمة في الفتاوى من هنا ومن هناك، ضحالة في الفكر والاطلاع، البعض منهم يقع فريسة لإرضاء الإعلام والعلمانين ناهيك عمَّا يرضي السلطان، هوى متبع وليس الإسلام الحنيف المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحريف باطل لبعض الأمور فهم أساليب بعكس ما هي مطلوبة، يأخذون ما يحبون، ويتركون ما ليس على هواهم، ويدعون بالأحاديث الموضوعة والضعيفة، حتى ولو كان بها نص صريح من القرآن أو حديث في أعلى صحيح البخاري ومسلم وغيرهما.

لماذا؟؛ لأنه ليس على هواهم، وليس على هوى من يشاهدونهم، يبيعون الدين بعرض رخيص من الدنيا الزائلة، لا شيء يحزنك أكثر ممن يتبعون هؤلاء، ويصدقونهم ويمشون خلفهم كأن ديننا مُنَزل حاليًا، ولا نعلم عنه شيئًا من قريب أو بعيد، هل لأن بعض الناس أصبحت تصدق كل ما

تشاهد دون وعي أو بحث أو حتى مجرد شك؟، أو لأن بعض الناس أصبحت تبحث عن من يرخص لهم الحرام ويصبح سهلًا في أيديهم، كمن لا يحل طلاق الزوجة شفهيًا، فهذا بالنسبة للبعض وجبة لذيذة الهضم محببة لقلوبهم، أصبحوا طوال الليل والنهار يلعبون بأيمان الله، لماذا؟

لأن الشيخ الإعلامي قال لهم: لا يجوز إلا بختم النسر.

إن هؤلاء الدعاة الجدد يذبحون أنفسهم كل يوم من غير سكين، يخضعون لإرضاء أهواء من يطلبون ذلك مقابل بعض الآلآف التي يتقاضونها كل شهر، كمن يرقصون على السلم، ويريدون أن يمسكوا العصا من المنتصف، لا يريدون أن يغضب أحد منهم مقابل سبوبة الإعلام، هم أقرب إلى الممثلين منهم إلى الدعاة.

إن اهتمامهم بارتداء الماركات العالمية أكثر من اهتمامهم بتطبيق سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، تجدهم يقعون على من يشبهونهم، يحاولون إرضاءهم بكل الطرق خوفًا من غضب هؤلاء، وليس المهم عندهم غضب الله، فهم يهتفون طوال الوقت بأن الله غفور رحيم، وأن الدين يسر وسهل، ولا نريد من يشدد علينا ديننا وهكذا في حلقة التنازلات التي لا تنتهي حتى أصبح الحرام لدينا عاديًا وسهلًا ومستساغًا، وأن ما دون ذلك هو التخلف بعينه.

البعض منهم جاهل بكيفية توصيل المعلومة، يتكلم من منطلق أنه معصوم وأنه ضمن لنفسه مكانًا في الجنة وأن من يحدثهم من أهل النار العصاة، ترك الإخلاص لبعضهم أوقعهم فريسة لرواد المواقع الاجتماعية الذين يعلقون لهم المشانق على صفحاتهم كل يوم.

ولست أدافع عن من يسب ويشتم فيهم، ولكن عدم توقيرهم لله جلب لهم عدم تقدير الخلق.

قال ابن حزم رحمه الله:

لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها، وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون.

فإن أخطر شيء على الإنسان أن ينقلب قلبه ويتغير فكره بحيث أن يرى ما يحبه هو الصواب، وأن ما يقتنع به هو الواجب، فالمرضى والباحثون عن الشهرة يخالفون الشرع فيظهرون أنفسهم كمَن يقف ويضلل في البخاري ومسلم رحمهما الله.

ويتناسى أن البخاري ومسلم ما هما إلا مجمعان ومخرجان لأحاديث الرسول المتواترة على من كان قبلهما في كتب الإمام مالك وكتب الإمام أحمد بن حنبل وغيرهما رحمهم الله جميعًا.

إن في عصر الفتن كيف لك أيها القارئ العزيز أن تنجو بنفسك من كل هذه الأهواء ممن يضلون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، كل ما عليك أن تتمسك بكتاب الله وسنة رسوله . صلى الله عليه وسلم . كما أخبرك بذلك رسولك، ووجب عليك أن تبتعد عن هؤلاء المرضى وألا تسمع لهم ولا تنشر ما يقولون بين الناس إلا لتبين ضلالهم، فقد قال محمد بن سرين رحمه الله:

إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم. ووجب عليك أيضًا أن تتفقه في دينك على يد صاحب سنة، حتى تعلم الصحيح من السقيم، وحتى لا تقع فريسة لهؤلاء المرضى.

* * *

إذا لم تتغير فمن الممكن أن تفنى

منذ أكثر من خمس عشرة سنة قرأت كتاب (من الذي حرك قطعة الجبن الخاصة بي؟) للكاتب سبنسر جونسون، والذي ظل على قائمة الكتب الأكثر مبيعًا في العالم لمدة خمس سنوات، والكتاب يشرح نفسه من مقدمته عبارة عن حكاية رمزية تساعدك على التكيف مع التغيير في حياتك

اثنان من الفئران يطلق عليهما (سنيف) و(سكوري) وقزمان آخران في حجم الفئران يتصرفان كالبشر وهما (هيم) و(هاو) يعيشون في متاهة تمثل المكان الذي نبحث فيه عما نريد، والجبن ما هو إلا استعارة مجازية عما تريد أن تحققه في حياتك إما وظيفة مرموقة أو علاقة حب أو صحة أو الراحة النفسية أو غيرها

سنيف وسكوري ذات يوم وهما يبحثان عن الجبن في محطة الجبن (ج) لم يجدا الجبن فلم يستغربا من ذلك حيث كان الجبن في تناقص يومي مستمر وكانا مستعدَّيْن لذلك بأنه في يوم من الأيام سيواجهان ذلك فلم يفكرا كثيرًا في الأمر وظلا يبحثان عن الجبن في مكان آخر دون يأس أو قنوط

بينما هيم وهاو عندما وصلا ولم يجدا الجبن في المحطة (ج) صرخ هيم غاضباً وقال (من الذي حرك قطعة الجبن الخاصة بي؟) لم يكن القزمان على استعداد مما حدث فكانا يتخيلان أن هذا الجبن سيظل معهم باقي العمر وأنه لا ينقص أبداً وكانا يقومان بنفس الشيء يوميًا يذهبان كل يومٍ إلى المتاهة في البحث عن الجبن ولم يجداه، فاقترح هاو على هيم أن يبحثا عن الجبن في مكان آخر فرفض هيم الذي مازال غارقاً في دور الضحية.

مع البحث اليومي اكتشف سنيف وسكوري محطة جبن جديدة تسمى (ن) وفي هذه الأثناء قرر هاو أن يبحث عن الجبن في مكان آخر ثم قام بكتابة عبارات على جدران محطة الجبن (ج) أولها (إذا لم تتغير فمن الممكن أن تفنى) ثم كتب (ماذا تفعل إذا لم تكن خائفًا) تحرك هاو نحو البحث عن الجبن وهو يعرف أن الجبن لم يختف فجأة بل إنه حدث نتيجة طبيعية للاستهلاك اليومي وهو في رحلة بحثه وجد قطعاً صغيرة من الجبن يستطيع بها مقاومة رحلته، فرح بذلك وعاد إلى صديقة الذي رفض أن يأخذ منه الجبن ومازال مصرًا على أنه المظلوم الذي ينتظر الجبن الخاص به، فقال له هاو: إننا نقوم بفعل نفس الشيء كل يوم مرات ومرات ثم نتعجب من بقاء الحال كما هو عليه

استاء هاو من صديقة وقرر أن يتركه وحده ويبحث جاهدًا عن محطات آخرى للجبن في أماكن آخرى وفي طريقه كتب بعض النصائح لصديقة على الجدران

أولاً كتب له اشتم رائحة قطعة الجبن من حين آخر حتى تعرف متى يصيبها العطب، ثانيًا عندما تتحرك متجاوزًا شعورك بالخوف تشعر بالحرية،

ثالثًا عندما تغير من معتقداتك ستتغير أفعالك

نجح هاو في الوصول لمحطة الجبن (ن) فكر في العودة إلى صديقة ولكن قرر أن يدع صديقة يكتشف الطريق وحده، وبعد هذه الرحلة تعلم هاو بعض الأشياء المهمة فقد قرر في المرة القادمة أن يُعجل بالتغيير، وعلم أنه من السهل أن يعود كما كان عليه لو أفرط في الراحة، وقرر أن يكون على علم بالواقع واكتشاف أماكن جديدة بدلاً من الاعتماد على ما لديه الآن فقط وبدلاً أن يبقى في صومعته المريحة

ثم كتب على جدران محطة الجبن (ن) التغيير يحدث، توقع التغيير، راقب التغيير، تكيف مع التغيير بسرعة، تغير، استمتع بالتغيير، كن على استعداد لكي تتغير بسرعة

في هذا العالم المليء بالصراعات والسرعة غير العادية وجب علينا أن نأخذ بهذه القوانين جديًا خاصة أن العالم لا ينتظر أحداً، فعلينا أن نستوعب

الدروس التي تقولها هذه القصة الرمزية وما شركة نوكيا عنا ببعيد حيث أهملت التطوير في هواتفها وسياستها المتبعة فظلت راكدة مع استرخاء شديد وجمود في القرارات مما وجب أن تكون محلاً للبيع وبالفعل قامت شركة مايكروسوفت بشرائها وفي حفل الختام الرسمي للبيع لم يتمالك نفسه المدير التنفيذي للشركة وبكى بحرقة وقال (لم أجد خطأ فعلناه) فقام بالرد عليه رئيس شركة مايكروسوفت المشتري بل فعلتم (توقفتم عن التطوير) ولم تقدم شيئاً جديداً فكانت هذه النتيجة.

وعلى الجانب الآخر تجد الكثير منا يحدث معه ذلك بشكل أو بآخر؛ لأنه ترك نفسه للركون إلى الراحة والاسترخاء فكانت النتيجة هو التأخر عن الجميع وعدم مواكبة التطور السريع الذي يحدث حولك، فكن مبادراً في تطوير نفسك من كل ما ينفعك في مجالك وإياك والركون إلى الراحة وكما قال الحبيب صلى الله عليه وسلم (اِحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز)

* * *

رسائل الله إليك

ما أكثر الإنسان نسيانًا!، سمي بذلك لكثرة نسيانه، ما أقرب أن ينسى ذلك اليوم الذي ألح فيه على الله أن يخرجه من هذا المأزق العظيم الذي أوقع نفسه فيه ثم يعود إلى جبروته وضعفه وشهواته، ويُبتلى مرة آخرى عله يفيق ولا جدوى كمن قال عنهم الله (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)

الرسائل عبارة عن محطات لكي تنتبه وتراجع نفسك مع الله حتى لا يطول بك الأمل، والرسائل تبدأ من مجرد رؤية في المنام، أو بلاء مرضي أو نفسي أو مالي، وقد تكون رسالة عبر معتوه لا تلقي له بالاً ولكنك لا تنتبه، فكل ما تراه عينك أو تسمعه أذنك أو يحيط بك فهو رسائل من الله إليك، فقد يسوق الله إليك كلمات عبر أشخاص أنطقهم الله لكي تصلك رسالة من الله، ولكن كن على وعي وانتباه حتى تعلم ما يقوله الله لك

القرآن الكريم أكبر رسائل الله إليك في كل مرة تتدبره تجد رسالة جديدة من الله إليك ومع القليل من التأمل تجد حلاً لكل ما تمر به فحضور القلب مع القرآن يفتح لك باباً عظيماً من الرسائل لكي تتأملها فأنصت إليها

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما رأى رؤية فقصها على أخته حفصة رضي الله عنها فأبلغت بها الرسول صلى الله عليه وسلم فقال لها: نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل، فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً، فكانت الرؤية رسالة عظيمة إليه رضي الله عنه.

وكان الفضيل بن عياض رحمه الله، قاطعاً للطريق يؤذي الناس وفي ليلة كان يتسلق بيتاً فسمع قول الله تعالى (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) فقال آن يارب آن يارب، وكانت هذه الآية رسالة الله إليه فهداه الله وأصبح من علماء المسلمين.

وإحدى النساء في هذه الآونة تأخر حملها لمدة سبع سنوات فكانت هذه السنوات بالنسبة لها سنوات قرب لله على أفضل ما يكون من صلاة وصيام وقراءة قرآن ودعاء، إلى أن جاءت في يوم وكان يوم عرفة وألحت على الله بالدعاء وتقبل الله منها ورزقها بالأطفال، فقلت العبادة وبعدت عن الله؛ ولأن الله يحبها أكرمها برؤية أنها دخلت جامعاً كبيراً به كل شيء جميل إلا أنه ينقصه بعض الجدران أن تكتمل فسألت عن تفسير رؤياها فكان الرد أنها بعدت عن طاعة الله ونقصت هذه الطاعة عن الأول فعادت مرة آخرى وكانت الرؤية إحدى رسائل الله إليها.

كل يوم يمر علينا به رسائل كثيرة من الله منذ خروجك من منزلك الصباح حتى النوم بالمساء كل لحظة قد تكون بها رسالة من الله إليك والرسائل هي

رسل الله إليك التي ترشدك وتبين لك الطريق، فالشخص الذي كان يمشي بجوارك وصدمته سيارة طائشة مسرعة مفارقاً الحياة رسالة من الله إليك بأن قد تكون أنت مكانه، والطفل الذي يمر من أمامك يبيع مناديل وحلوى وهو لا يكمل العاشرة من عمرة رسالة من الله إليك، والمرأة التي تسعى على أيتام لها، والمسكين الذي جاء إليك مكسوراً يطلب منك مساعدة، والشاب الباحث عن عمل وأنت تعمل، والفقير الذي لا يجد قوت يومه، والرافعة التي وقعت في الحرم ومات الكثير تحتها رسالة من الله، والعواصف والرياح التي تجتاح الأشجار والبيوت رسالة من الله، والملوك التي سكنت السجون، والشيوخ التي فُتنت أخر عمرها رسالة بأن تدعو الله دائما بالثبات، والشباب الذين يموتون في ريعان عمرهم رسالة بالتخلي عن طول الأمل، والتدبير الذي يحدث للكون بأكمله، والصراعات على الدنيا وما يتبقى للمتسابقين منها، وكل ما تراه من أحداث تشير إليك برسالة ولكن يبقى لك أن تعي وتفهم رسائل الله إليك.

* * *

يا عزيزي كلنا مساكين

بعد نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم خشي على نفسه ورجع إلى زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقالت له كلمات تسطر بماء الذهب:

(كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق)

هنا ظهرت فراسة وقوة السيدة خديجة رضي الله عنها في أبلغ الكلمات التي قيلت وكيف بكلامها هدأ روع النبي صلى الله عليه وسلم وكانت له سكنًا وداعمًا قويًا، وهذه بعض من متطلبات الزوجة الصالحة أن تواسي زوجها في المحن والشدائد إذ إن الكلمات لها أثر بالغ في تثبيت القلوب.

فإن حاجة الناس إلى العطف أمرٌ ضروريٌ في هذه الحياة المليئة بالهموم والمتاعب فأثر الكلمة الطيبة على النفس كأثر الماء على النار إذن قد يكون الإنسان لا ينتظر أي شيء غير كلمة طيبة تشد من أزره وتهون عليه الصعاب وتشرح صدره المكلوم.

ولكن أغلب الناس الآن بخلاء حتى بالكلمة الطيبة وكأنهم يدفعون للكلام أجورًا فماذا عليهم لو قالوا كلمة طيبة؟، ولكنهم ما بين البخل وبين عدم حب إظهار التقدير لصاحب الكلمة، فإما أن تسمع كلامًا ثقيلاً أو صمتًا غريبًا أو تهميشاً لدور فعال تقوم به.

فإذا كانت الابتسامة كان لها كل هذا الأثر الكبير في جلب النفوس وتوزيع الشحنات الإيجابية على الناس وإذا كان التبسم في وجه أخيك صدقة فكيف بالكلمة الطيبة التي تعيد الثقة والثبات في الأشخاص؛ لأننا في النهاية بشر ضعفاء تهشمنا الكلمة القاسية وتكسب قلوبنا وتؤثرها الكلمة الطيبة

أتذكر قصة إديسون مع والدته عندما عاد إديسون إلى بيته من المدرسة يحمل رسالة من المدرسة فقرأت والدته الرسالة وبعد أن قرأتها بدلتها بسرعة عالية وقالت له:

(ابنك عبقري والمدرسة صغيرة عليه وعلى قدراته، عليك أن تعلميه بالبيت) ومرت السنوات وتوفت الأم وتحول إديسون إلى مخترع عظيم وفي أحد الأيام كان يبحث بخزانة والدته وجد رسالة كان نصها (ابنك غبي جدا، فمن صباح الغد لن ندخله إلى المدرسة) بكى أديسون لساعات طويلة وبعدها كتب في دفتر مذكراته إديسون كان طفلا غبيًا ولكن بفضل والدته الرائعة تحول إلى عبقري.

وما قصة فرعون ببعيد حيث أمر الله سبحانه وتعالى سيدنا موسى عليه السلام أن يقولا له قولاً لينًا؛ لأن الدعوة تحتاج إلى بصيرة مع لين جانب مع صبر وتحمل فالكلمة الطيبة اللينة مع هؤلاء قد تكون طريقًا لهم للدخول في دين الله، فالبرُّ شيء هين وجه طليق وكلام لين، وما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه.

من السهولة تجد انتقادات كبيرة لكل شيء تفعله وكلام يؤثر عليك بالسلب لكن عندما تنجح وتفعل شيئاً يستحق الثناء أو التشجيع يقفون مكتوفي الأيدي خرساء لا ينطقون، ولو أثنوا يكون على مضض مع أن التشجيع أمر مهم جدًا خاصة للمبتدئين في شيء حديثًا، نحن قساة جداً مع أنفسنا ومع بعضنا البعض حتى إننا لا نشجع من يستحق التشجيع بالفعل وقد ننافق من لا يستحق التكريم

نحن جميعًا مساكين سواء كنا رجالاً أو نساء، فقراء أو أغنياء، صغارًا أو كبارًا، بل إن الكبار يحتاجون إلى العطف والاهتمام والحب والحنان كالأطفال بل إن الجنس البشري كله يحتاج إلى العطف حتى أؤلئك الجبابرة والسفاحون.

قال الأديب الألماني جوته:

(قلب الإنسان كبير جداً لا يملؤه شيء وهش جداً يكسره أخف شيء)

لماذا كانت زيارة المريض لها أجرٌ عظيمٌ؟؛ لأنك بزيارتك تدخل السرور والسعادة على المريض وتقول له عبر زيارتك: أنا أتذكرك وأدعو لك بالشفاء، وجميع المناسبات أمر الله أن نتشارك بكلمات ودعاء لأصحابها من أعياد وميلاد ومواساة أهل الميت كل ذلك من باب العطف وإسعاد القلوب

فعلينا أن نترك الجفاء ولو قليلاً ونحسن الحديث مع بعضنا ونراعي كلماتنا التي تخرج من أفواهنا ونزيد الحب والعطف بيننا فكل منّا يقاتل في جهة ما، فكن رحيمًا رفيقًا بمن لا تعلم ما في قلوبهم وتذكر كما تدين تدان حتى في الكلمات

* * *

أبلغهم سلامي

لماذا نحن البشر نتوقف عن كلمات الإعجاب لأي شخص يفعل شيئاً يعجبنا أو يؤثر فينا؟، لماذا لا نقول للطيب أنت طيب وأكثر الله من أمثالك حتى نشجعه على أن يزيد من طيبته ويفرح بقبوله عند الناس؟، لماذا لا نقول شكراً لمن قدم خدمة أو ساهم في مشاركة نفع لبلدٍ أو لأنفسنا؟، قل لهم شكراً ولا تنتظر منهم عفوًا وتذكر لا يشكر الله من لا يشكر الناس، قل لمن ساعدك أو دلك على شيء (جزاكم الله خيرًا) أكثر منها فهي تزيد القرب بين الناس وتشع البهجة والفرحة، أبلغ أخاك المسلم بحبك له في الله ونفذ وصية حبيبك النبي عليه الصلاة والسلام (إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه) فحقًا لها تأثير على القلوب وتشعرك بأنك مقبول عند الخلق.

في عالم السوشيال ميديا شارك وعلق وضع إعجاباً فلها تأثير كبير على الناس مجرد الإعجاب بتبليغهم بأنك تتذكرهم أو تشكرهم على كلماتهم وفي هذا العالم أظهر كم نحن كمصريين نعاني من الوحدة والفراغ الذي أخرجناه بين الكيبورد والشاشة.

في الحياة الزوجية كلمة (بحبك) تذيب كل الخلافات والمشاحنات وتجعل للحياة طعماً آخر، فالمرأة مدخلها أذنها، أسمعها هذه الكلمة باستمرار وكن كريماً في الكلام معها فالحب ما هو إلا اهتمام.

قل لمن أحسن :أحسنت وبارك الله فيك وانصح من أساء بلطف حتى لا

يكرر أخطاءه مرة أخرى، كن رحيماً بكلماتك فاللسان لا يحمل العظم ولكنه ذبح الكثير من الناس.

لو اختلفت مع أحدهم فلا تخسره بمجرد الخلاف، تبسم وخذ الأمور ببساطة، اختلف بلطف واخرج من الحوار أكثر أخوة، وجادل بالتي هي أحسن.

أولادك هم أمانة عندك وأغلى ما تملك لا تجعل حبك الزائد لهم يدمر نفسيتهم فتجعلهم يعيشون في قوقعة منعزلة بعيدًا عن العالم فإن من الحب ما قتل، ولا تجعل قسوتك عليهم تجعلهم ينفرون منك وتخسر قربهم منك، تفهم اختلاف الأجيال وكن ناصحًا وصديقًا لهم وعند الحاجة كن صارمًا شديدًا معهم، كن ذكيًا في التعامل مع أكبادك.

أخبر صديقك بأن ذوقه جميلٌ في ملابسهِ وأن عطره فواح يميزه دائمًا، وأنه يمتاز بالأناقة والوجاهة، وأنه مريح للنفس ومقبول عند الناس وهذا من حب الله له، جامل ولا تنافق، وعاتب ولا تذبح بالكلام، كن رقيقًا في النقد والعتاب.

تعلم التضحية وتذكر قول الله – تعالى - (ويؤثرون على أنفسهم) ستقابل في حياتك أشياء لابد أن تضحي من أجل أن تسير المركب ليس ضعفًا منك بل هي قوة لا يفعلها إلا الرجال فخيركم من يبدأ بالسلام، كن مبادراً للخير ولا تنظر لما يقال عنك

* * *

أدومها وإن قل

يتميز الناجحون عن غيرهم بشيء مهم للغاية وهو المواظبة والاستمرارية أي ما نسميه بطول النفس وهو الاستمرار وليس السرعة، فالذي يبذل كل جهده من البدايات وينهك قواه ثم يخر متعبًا يائسًا هذا يستسلم بسهولة ويكون الفشل السريع حليفه ولكن من يعمل بفكرة التأني والقليل الدائم خيرٌ من الكثير المنقطع هذا يكون النجاح حليفه لا شك.

إذا نظرنا إلى هذا الكلام من حيث الجانب العملي فنرى أن تقرأ كل يوم خمس آيات من القرآن الكريم كل يوم خيرٌ لك من أن تقرأ جزءًا كل شهر، وأن تقرأ من كتاب ما عشر صفحات يوميًا خيرٌ لك من أن تقرأ كتاباً كل شهرين، ومن أن تتصدق كل يوم بالقليل أفضل من أن تتصدق بمبلغ كبير كل عام وأن تمارس رياضتك المفضلة يوميًا ولو لدقائق خيرٌ من أن تمارسها كل شهرٍ.

فالعبرة دائمًا بالاستمرار وأن الشيء دائم وليس بأنه قليل لأن الأفضل أن يكون كثيرًا دائما وهذا أمر صعب على النفس البشرية التي من طبعها الملل والنفور السريع فإن الاستمرار هو أساس النجاح لدى الناس

في الألعاب الرياضية ليست العبرة بمن يركض طوال المبارة ثم يفقد قواه آخر المباراة ويستسلم لمنافسة المحافظ على لياقته طوال المباراة ويتحرك ويركض في حدود المطلوب فتكون النتيجة أن منافسة يتغلب عليه ويهزمه

الناجحون يفعلون أشياء لا يرغب فيها غيرهم بمعنى أنهم يتحملون ما نكره ويقاومون ما نحب، فقد يأخذنا الكسل للامتناع عن الجهد والمثابرة كالذي يمتنع عن الرياضة فيزداد وزنه، والذي يتكاسل عن أعمال تقع عليه بالنفع ولكنها مجهدة فيتكاسل فيحرم منها، فالناجحون يحبون أيضا الراحة ولكن يقاومون التراخي من أجل تسطير النجاح

إننا نرى الناجحين من الظاهر فقط ولا نرى كمية التعب والجهد المبذول للوصول إلى هذا النجاح، حتى العلماء الذين يتعرضون لإلقاء كلمة أو حديث عابر أو سؤال فقهي دون ترتيب له لولا حصيلة العلم والقراءة لسنين طويلة لم يكونوا قادرين على الإجابة والرد ولكن الوقت الماضي من أعمارهم وتحصيلهم لسنين طويلة كانت العمود الأساسي في ذلك، فأنت عندما ترى ناجحاً ترى الشكل العام فقط لا ترى ما فعله منذ سنين من تعب وجهد متواصل للوصول إلى ما هو عليه الآن

إن الكثير من الناس يحلم أكثر مما يعمل فتجده يكثر من الكلام وفعله قليل، إن السفينة لا تجري على اليابس ولكنها تحتاج إلى ماء والسفن أيضا وهي واقفة على الشاطئ تكون في أمان ولكنها لم تخلق لذلك وأنا وأنت

كذلك لم نخلق لنركن إلى الراحة ونبتعد عن كل ما يتعبنا ويسبب لنا الضغوط إنما خلقنا للعبادة والعمل وإعمار هذه الأرض.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:

"كم في الحياة من طامحين لا يملكون إلا الجرأة على الأمل، وكم من راسخين يطويهم الصمت، حتى إذا كلفوا أتوا بالعجب العجاب"

وفي الحديث الصحيح (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) فإن استدامة العمل الصالح وفعل العبادة بعد العبادة والمحافظة على الطاعة بعد الطاعة هذه من علامات قبول العمل الصالح وإن العبد إذا مرض أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا.

فإن العبرة بحسن العمل لا بكثرته وإن من حسن العمل أن يكون دائماً مستمرًا لا أن يكون منقطعاً فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

* * *

مساكين أهل الدنيا

كم نحن مساكين أيها البشر!، نتصارع خلف شيء ملعون، يأكل القوي منّا الضعيف، نحارب من أجل مال فإنٍ وأرض زائلة، هشيمًا تذروه الرياح، والدليل أني أدعوك لزيارة سريعة للمقابر لتعلم ما نقوله فعند دخولك قل السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية.

بعد السلام لا بد أن تعترف بأنك بهم لاحق وبجوارهم فى التراب نازل وعلى أعمالك كلها محاسب، فانظر على يمينك ويسارك وانظر إلى من كان يحمل مناصب الدنيا من رئيس ووزير ودكتور وغيرهم، هذا الذي كان يسكن القصور وذلك الذي يركب المرسيدس وهذا الذي مبتور القدمين وهذا وهذا، وهنا فقط يعلو أصحاب الأعمال الصالحة هنا يعلو أهل الهمم في الدنيا الفانية، هنا يعلو أهل الخير والصلاح (والآخرة عند ربك للمتقين) هنا للمتقين فوزٌ عظيم.

تعالوا بنا نحلق في سماء الماضي ونتأمل أشياء كنا متلهفين عليها في هذه الدنيا، وكان شوقنا يزداد يومًا بعد يوم عليها إلى أن يسرها الله لنا، فكانت بعد ذلك شيئاً عاديًا لا قيمة له عندنا بل بعضنا قد يضحك من ذكريات

هذه المواقف، والعبرة أنك لا تغضب الله من أجل متعة زائلة فكل ما تشتهيه فانٍ ويعود إلى التراب، قال تعالى (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال).

بل إن الله لعن الدنيا كلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا ومتعلمًا).

فتأمل عندما تكون أعلى مبنى عالٍ جدًا وتنظر إلى السيارات والناس التي أسفل المبنى ماذا تجد، تجد وكأنهم نمل يمشي على الأرض وعندما تركب طائرة تجد هذا المبني ككرتون أسفل منك وكلما علوت عن الدنيا وجدتها صغيرة جدا وتافهة وحقيرة.

فالدنيا صغيرة جدًا ومغرية جدًا لمن لا يعلم مكانتها عند الله، فازهد فيها كأنك ضيف وراحل عنها ولا تتمسك بشيء أنت راحل عنه (والآخرة خير وأبقى) فأنت في رحلة قصيرة وستعود قريبًا.

كل هذا دعوة لك أذكرك بمكانة الدنيا عند الله لك لا تنخدع فيها وتعرف قيمتها ولا تعطها أكبر من حجمها، فعش فيها كأنك غريب فإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وتزود من التقوى فهي خيرٌ وأبقى.

* * *

المدخل الشخصي

في إحدى المحاضرات من العام النهائي من دراستي قد بدأ المحاضر في شرح درسه الأسبوعي وكان بعنوان المدخل الشخصي، يُدرج تحت مادة إدارة الأعمال، وكان قد مضى من وقت بداية المحاضرة ما يقرب من عشر دقائق ثم طرق الباب أحد الطلاب ومعه إحدى الطالبات وسمح لهما الدكتور بالدخول، بالرغم أنه يبغض من يتأخر عن محاضرته وغالبًا ما يرفض ذلك، ثم نظر لهما نظرة غريبة لم نفهمها إلا بعد أن أكمل شرحه للمدخل الشخصي قائلاً:

أن تحكم على الشيء من منظورك الشخصي ورأيك الشخصي،على سبيل المثال أن تجد شابًا وسيمًا ويرتبط بفتاة ليست جميلة من حيث الخِلقة، وتجد فتاة بارعة الجمال ترتبط بشخص ليس بوسيم أو ليس له أي شيء يُجذب للارتباط به، وهذا هو المقياس الشخصي لكل شيء، وقديمًا قالوا لولا اختلاف الأذواق لبارت السلع؛ فالأمر نسبي في النهاية.

فمن هنا نتج الخلاف الشائك بين الناس، أن لكل شخص مدخلاته، وبناء على هذه المدخلات والمعتقدات والقيم يقوم بالحكم من وجهة نظره هو، ومن منظوره الشخصي الخاص به، ويزداد الأمر سوءًا بأن يتعصب كل

واحد لرأيه الشخصي الذي يعتقد أنه هو الصحيح وأن من دون ذلك خطأ، وتتسع بذلك دائرة الخلاف بين الناس ويزداد الناس بغضًا وكرهًا وتجنبًا بعضهم لبعض.

الأمر أصبح خطيرًا بعد كل هذه النزاعات على الساحات المنتشرة بين الناس جميعًا، ومع ازدياد المشاكل والفرقة بين الناس، والكل مُدَّعٍ أنه محق، لا بد من التحدث عن مخرج لكل هذه الأزمات، ولا مخرج إلا من خلال شرع الله الذي خلق هذا الكون وجعل له قوانين وأنزل كتابه يَحكم بين الناس فقال سبحانه «مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ»، والتاريخ البشري مليء بالنزاعات والاختلافات والفوارق التي حدثت وما زالت تتكرر مع بشاعتها.

فأصل كل مشكلة حدثت لنا هو من اتباع أهوائنا وتناسي ما أنزل الله علينا من قرآن به حلول لكل مشاكلنا، وسنة رسوله تحارب في كل بقاع الأرض، فردنا الله إلى أنفسنا وأنفسنا جلبت لنا النقم، ولا مخرج لنا من كل ذلك إلا بالعودة لهذا الدستور العظيم.

الخلاف بين الناس ناتج عن تغير المدخلات الشخصية لكل واحد فينا؛ فكل واحد منّا خلقه الله شخصًا مستقلاً لا يتكرر في هذا الكون المتسع، ولكل واحد منّا وجهة نظر جاءت من خلال ثقافته وبيئته التي نشأ فيها ومعلوماته التي يحويها عقله؛ فكان الناتج بالتأكيد مختلفاً من شخص لآخر.

ولكن السؤال المهم كيف يعرف الإنسان أنه على الحق؟ أو على الأقل قلبه مطمئن لما يميل إليه وإلى ما يقف بجواره؟

البداية تأتي من تقوى الله، قال سبحانه «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا» أي فصلاً بين الحق والباطل، فمن يتق الله يوفقه الله لمعرفة الحق من الباطل حتى وإن كنت وحيدًا بين أهلك، فمعرفة الحق نور يقذفه الله في القلب ينير لك الطريق الذي أظلم على الكثير حولك، ولا يأتي هذا النور إلا من خلال تقوى الله.

ثم عليك بعرض رأيك على القرآن والسنة، قال تعالى (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) فإن وافق الشرع فتمسك به وعض عليه بالنواجذ ولا يدخل قلبك شك ولا ريبة مهما كثر من حولك المغرضون، وإن خالف القرآن والسنة فاتركه مهما كانت أرباحه لك، فمن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه.

كن مع الجماعة، ولا يُفهم من ذلك أن الجماعة هم الأغلبية من الناس، ولكن الجماعة هو لزوم الحق واتباع المنهج المنزل من الله على رسوله - صلى الله عليه وسلم- حتى ولو كانت قلة قليلة؛ فقد قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- الجماعة ما وَافق الحق ولو كنت وحدك.

عليك بالدعاء بأن يُريك الله الحق حقًا ويرزقك اتباعه ويُريك الباطل باطلاً ويرزقك اجتنابه، فالقلب السليم يميل إلى الفطرة، وتجد توفيقًا من الله له وبصيرة ليميز الحق من الباطل، بخلاف القلوب التي أزاغها الله مشتتة لا تعرف أين تقف ومن تصدق؟.

كن ذا وعي والمؤمن كيس فطن، لا ينخدع بسهولة لمجرد زوبعة إعلامية من هنا ومن هناك، فما يعرض عليك وجب عليك التأكد منه أولاً، ولا تتعجل بالحكم حتى يتبين لك ما الهدف، فالآن تغيرت الأمور كثيرًا وأصبح كل شيء قابلاً للشك.

إذا التبست عليك الأمور، وزادت الفتن من حولك، وأصبحت الكلمة تهدد خطر الناس وفتنتهم فوجب عليك الصمت، وعدم الحديث، والزم البيت قدر المستطاع، وعليك بنفسك وصلاحها والدعاء بأن يصلح الله البلاد والعباد.

* * *

الناس في عزلة

يزداد العالم فرقةً، وتزداد الناس عزلةً، ما بين ضغوط الحياة المادية، وبين الطفرة التكنولوجية التي تحدث في كل ثانية من العالم، يزداد الناس في القرب من البعيد ويبتعدون عن القريب، ولا أدري أكان هذا القرب من البعيد قربًا حقيقيًّا أم قربًا وهميًا يتلاشى مع الأيام؟.

قضت وتيرة الحياة المادية السريعة أن تجعل الناس أكثر عزلة عما كانوا عليه في السابق؛ فقد تجد إخوانًا يسكنون في منزل واحد ولا يرى بعضهم البعض بالشهور، وتجد من يقطنون عمارة سكنية واحدة لا يعرفون بعضهم البعض، بل قد تجد بعض الناس لا يلقون السلام إلا على من يعرفونه فقط.

أصبح الناس في روتين يومي متكرر، كل صباح يذهبون إلى أعمالهم المعهودة ويؤدون المطلوب منهم من أعمال في حيز التعامل المتكرر، وينتهون من أعمالهم ليعودوا إلى منازلهم.

ويتكرر المشهد كل يوم بنفس الوتيرة، وأصبحوا يقابلون أهاليهم في المناسبات والأعياد، وبعضهم لا يفعل، ويّدَعون بأن الدنيا شغلتهم، وأصبح

بين الناس صعوبة في صلة الأرحام وزادت قسوة القلوب، حتى أصدقاء الطفولة والجامعة عندما يتخرجون وينشغل كل واحد منهم بحياته ينقطع تدريجيًّا عن أصدقائه الذين كان لا يتخيل الحياة بدونهم.

مع كثرة الصدمات في الناس، وتلقي كل يوم صدمة مفاجأة من شخص مقرب حدث لدى بعض الناس خوفٌ وعزلة اجتماعية، أصبح الكثير يفضل الجلوس في منزله والبعد عن كل ما يعكر صفو حياته، بل أصبح بعض الناس يزداد الشك فيما بينهم، وزاد التعميم بالسوء على الكثير، وهذا لا شك أنه يؤثر في المجتمع كافة، بالإضافة إلى المشاكل النفسية التي يعيش فيها البعض؛ مما قد سبب للبعض عزلةً اجتماعية وخوفًا من الاقتراب من البشر.

والمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم، إلا لو كان في الاختلاط شيء يضر المرء، فإن بذلك تكون العزلة أفضل، ومن ثمرات الاختلاط الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصلة الأرحام، والقرب بين الناس، ورحم الله الشافعي حين قال الانبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء، والانقباض عنهم مكسبة للعداوة، فكن بين المنقبض والمنبسط.

ولكن زادت البيوت صمتًا بعد أن دخل كل شخص في عزلته مع جهازه المتنقل بين التواصل والتصفح في صمت، لا ينطق إلا عند الضرورة، يسأل

ويطمئن على من يتواصل معه، ولا يسأل ولا يعرف شيئاً عمن يعيشون معه في نفس البيت.

لا شك أن الانعزال في الأصل سببه نفسي، وجاءت إلينا برامج التواصل لتجعل كل شخص منعزلًا مع نفسه، فأصبح يرى راحته فيما يتابع وفيما يعزله عن البشر من حوله؛ فأخذ من ذلك طريقًا سهلًا للراحة والمتابعة اليومية، فضلًا على أن الكثير يبحث عن هدف معين من خلال ذلك، بعضهم يبحث عن الثناء في التواصل، وبعضهم يبحث عن الحديث مع أي شخص غريب يبوح له بأسراه ويتركه.

ومن أسوأ ما قدمت لنا برامج التواصل، هو السماح بنشر معلومات من هنا وهناك غير صحيحة، خاصةً في الأمور الدينية؛ فأصبح البعض منا يعتمد على توثيق معلوماته من هذه الصفحات غير المضمونة، وهنا ظهر بعض الشخصيات التي سميت بمشاهير التواصل، الذين يقومون بشرح الدين للناس ولكن بطريقتهم، فكثير من أقوالهم مخلوطة، وهناك فوضى في فتواهم.

إنني تعجبت يومًا من حجب بعض الدول الكبرى لبرامج التواصل، مثل دولة الصين، ولكن مع مرور الوقت أيقنت أن هذه البرامج أكبر خطر على الأمة الإسلامية من أعدائها، عندما أصبحت هذه البرامج إدماناً لبعض الشباب، وتسببت في هدر الوقت دون فائدة تذكر.

والجدير بالذكر أن مصر احتلت المركز الأول في الشرق الأوسط في استخدام الفيس بوك تليها السعودية، وليس ذلك إلا أن أصبح المجتمع كثير الفراغ، يبحث عن ما يشغله من أخبار مستهلكة تشغل أوقات الشباب دون عمل أو إنتاج، سواء في الأمور الدنيوية أو الدينية، فلو حسب الشاب عدد الساعات المهدرة في التصفح في هذه المواقع، وأبدلها بساعات عمل نافع لتغير الوضع على المستوى الفرد والمجتمع.

وبالرغم من كل ذلك أتوقع أن يزداد الناس عزلةً، ويزدادون تباعدًا مع زيادة التكنولوجيا، وزيادة اختلاف وجهات النظر، والانقسامات التي تحدث كل يوم في المجتمع، ولكن الأهم من العزلة والاختلاط أن يكف الناس عن أذى بعضهم البعض وأن ترتقي الأخلاق بين الناس.

* * *

استقراء المستقبل

تعلمنا قديمًا الاستقراء المستقبلي وهو عبارة عن التفكر في المستقبل دون حمل همه بمعنى أن تخطط للمستقبل ولكن دون أن تعكر صفو حياتك بهموم المستقبل وكانت الإفادة من ذلك أن تنظر إلى الواقع الذي تعيشه وتضع خططاً أفضل ولكن في نفس الوقت تضع احتمالاً هو أن وضعك هذا يكون أسوأ بمعنى أن تقول لنفسك: ما أسوأ شيء يمكن أن يحدث لو فعلت هذا الشيء؟.

على سبيل المثال

ماذا سيحدث إذا تركت هذه الوظيفة؟ أو ماذا يحدث لو اشتريت هذا العقار؟ وهكذا، وبالتالي تتعرض لصدمات أقل عندما يأتي المستقبل، هذه الطريقة ساعدتني كثيراً في حياتي لأنها ببساطة تجعلك مستعداً لأي شيء ستقابله إن كان خيراً تزداد فرحاً وإن كان سوءاً فستكون على استعداد لتقبله.

علم الإحصاء اهتم بهذا الاستقراء جيداً وهناك شيء يسمى (الاحتمال) وهذه الاحتمالات هي خيرات كثيرة عندما تختار احتمالاً يكون ناتجه مختلفاً عن اختيارك للاحتمال الثاني وهكذا.

وساعد ذلك كثيراً على التنبؤ وهذا ليس محرما بالعكس فقد تكون في حرب شرسة مع العدو ووضع أكثر من احتمال يساعد جداً على توقع أي شيء من العدو ووضع حلول مسبقة لهذا وبالتالي تقل الخسائر وتزيد المنافع.

ونفس الفكر نستخدمه في علوم البرمجيات تحت ما يسمى IF الشرطية بمعنى إذا فعلت كذا فيكون الناتج كذا والعكس وظهرت بعد جملة IF جمل كثيرة مثل Do While و Untilو Case وغيرها من الجمل التي تحمل الشرط مع نتائجه، وماذا يفعل البرنامج لو كانت الاختيار مختلفة أو المدخلات متغيرة؟ وهكذا..

وساعد ذلك على ابتكار الكثير من الحلول.

وهذا الاستقراء يفيد لمن يخطط المدن العمرانية الجديدة ولو استقرأ المخططون القدماء بأن مثلا الطريق الذي عرضه عشرة أمتار لا يكفى لاستيعاب الناس والسيارات بعد ثلاثين عاماً لعملوا على إعادة الاتساع لاستيعاب أكبر عدد لمدة كبيرة من الزمان وهذا من فوائد الاستقراء يساعد كثيراً على حل المشاكل والأزمات.

واستقراء المستقبل مفيد للجميع، للطالب والمعلم والطبيب والمهندس وجميع التخصصات بحيث أن كل واحد في مجاله يفعل هذا الاستقراء وهذا الجدول التحليلي بحيث يستعد لكل الاحتمالات التي من الممكن أن تحدث

وبالتالي يكون مستعداً لتجنب الوقوع في الخطأ وهذا كله لا يخالف حسن الظن بالله، فكن في كل أحوالك محسن الظن بالله ولا تنسَ قول الإمام على رضي الله عنه بأن كل متوقع آت.

وهذا هو ما سمى حديثاً بقانون الجذب بأن كل شيء إيجابي نفكر فيه يحدث لنا.

وهنا أضيف لك بأنك تكون متوقعاً أي شيء وبالتالي ستكون مستعداً لأي حدث وأي احتمال.

فكن دائما متوقع الخير ولكن على استعداد ماذا تفعل لو حدث الأسوأ؟، ومع وجود حلول وبدائل لديك.

* * *

على رِسلكم

لعلك مِثلي حَكَمْتَ على الناس مِن قبلُ بالشكل الخارجي دون المعرفة الصحيحة لهم، ولعلهم - أيضًا - حكموا عليك من شكلك الخارجي، واتَّهموك بالباطل، كالذي رأى كتابًا مميزًا غلافه وبهره شكله واشتراه بأغلى الأثمان، ثم راح يتصفح محتواه، فوجده هشًّا فارغًا لا يحوي شيئًا بداخله.

ولعلك مثلي خُدعت في بعض الناس ممن يتظاهرون بالتديُّن، وبمعاملتهم وجدتَ الدين منهم بريئًا، ولعلك حكمت أيضًا على متديّن حقًّا بالسوء وقارنته بمن تظاهر بالتدين، ووضعت الاثنين في كفة واحدة، ولأن الشكل الخارجي الآن مهم جدًّا، وكثيرًا من الناس يُخدع فيه، فيَجب عليك التمهل في الحكم؛ لأنك ببساطة أنت في زمن تغيرت فيه كل الحقائق، وتبدلت كل المفاهيم، وأصبح الأمين فيه كاذبًا، والكاذب فيه أمينًا، فعن أم المؤمنين صفية بنت حُيَيٍّ رضي الله عنها، قالت:

كان النبي صلى الله عليه وسلَّم معتكفًا في رمضان، فأتيته أزوره ليلاً فحدَّثتُه، ثم قمت لأنقلب إلى بيتي، فقام معي ليردني إلى البيت، فمرَّ رجلان من الأنصار، فلما رأَيَا النبيَّ عليه الصلاة والسلام أسرَعا، فقال عليه الصلاة والسلام:

((على رسلكما أي: انتظِرا هذه صفية بنت حُيَيٍّ زوجتي))، فقالا:

سبحان الله يا رسول الله! فقال عليه الصلاة والسلام:

((إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم؛ وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًّا أو شيئًا))

هذا دليل واضح أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق، يجعلك تحكم وتظن الظنون، يقذف في قلبك الشر بسرعة البرق، تتخيل الخطأ دون تفكير، فبمجرد وقوع العين على شيء يرسل للقلب أن هناك فعلاً قد حدث، فعليك الانتباه وعدم الحكم بعجالة، فالحكم بالاستعجال على شيء يجلب الندم، ناهيك عن الذنب الذي لحق بك من اتهامك لشخص بالسوء، وحق له الاقتصاص منك يوم القيامة.

نعم، هناك وجوه ترتاح لرؤيتها عند الوهلة الأولى، وهناك وجوه تنفر منها من أول لقاء، وهذا كله من عند الله، ومن أثر الطاعة لعبدٍ دون آخر؛ ((الأرواح جنود مجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف))؛ رواه البخاري ومسلم.

ولكن الأهم هو عدم الحكم على الناس دون معرفتهم حق المعرفة، وإشاعة ذلك بين الناس، ودَعْ سوء الظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، قال ابن القيم: "سوء الظن: هو امتلاء القلب بالظنون السيئة بالناس، حتى يطفح

على اللسان والجوارح"، وقال ابن كثير: سوء الظن "هو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محلِّه"، فأصبح سوء الظن منتشرًا هذه الأيام بطريقة غريبة، وأصبح الناس تتسرع في الحكم على بعضها بشكل مخيف، فكثيرًا ما تجد متخاصمين بين الناس، والسبب الوحيد هو سوء الظن، فكيف لنا أن نرى القذى في عين الناس ولا نرى الجِذْع في أعيننا؟!

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا تظن بكلمة خرَجت من أخيك المؤمن شرًّا وأنت تجد لها في الخير محملاً"، فأحسِن الظن، ويجب علينا أن نلتمس لإخواننا أعذارًا، لعل عندهم عذرًا، وإن لم يكن لهم عذر فنلتمس نحن عذرًا، فعلينا التأني وعدم الاستعجال في الحكم على الناس من خلال المظهر والملبس فقط، وعلينا حسن الظن بالناس؛ حتى يتبين لنا الحق، فنحن في أيام تشوش علينا كل شيء، وأصبح أكبر العلماء يُطعن فيه ويُساء به الظن، فما بالك بنا نحن؟!

والله المستعان.

* * *

فراق الأحبة

أتى سيدنا جبريل عليه السلام إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له: يا محمد أحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، وعش ما شئت فإنك ميت.. هكذا الحياة بين الميلاد والممات نفرح لقدوم المولود ثم نقابل الفقيد بحزن السنين، كتب الله على هذه الحياة الكدر، لا شيء فيها يكتمل ولا تتم فيها فرحة، بين فقد عزيز وبلاء حبيب، فقد الحبيب صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم وبكى عليه وقال إنها الرحمة، ثم قال:

(إن العين لتدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون) نعم إنها الرحمة التي جعلها الله في قلوبنا من بين مائة رحمة أعطانا واحدة وأبقى عنده لنا تسعة وتسعين، الرحمة التي نعيش بها ونتراحم على موتنا، أشد بلاء الحياة في الصبر على فقد الحبيب كما قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما سأل عن ما هو أعظم من الموت قال فراق الأحبة

لذلك كان هناك فى الجنة قصرٌ يسمى بيت الحمد لمن فقد ابنه وفلذة كبده وثمرة فؤاده وصبر؛ لأن المصيبة تكون كبيرة ويكون من يتحمل ويرضى فله الجنة من عظم وهول المصيبة

ما أصعب أن تكون بين أولادك وأحبائك وما أصعب فراقهم عليك!، وما أصعب أن تفقد عزيزا كان بالنسبة لك رحمة وسكنًا في هذه الحياة!، ما أصعب أن تفقد من كنت إليه تأوى!.

ما أقسى الناس على بعضهم عندما يفرحون أو يشمتون في الموت، فقط لأنه مخالف لهم في الفكر السياسي ولو ذاق ما ذاقه المبتلى لفقد عقله، وما أجهلنا نقسو على بعضنا البعض ثم عندما نفقد أحدنا نبكي عليه ونقول ياليت الزمان يعود بنا لكي أعتذر له وأقدره ولكن هيهات لا شيء يعود، وإن كنت في قطيعة لأحد من إخوانك فارجع وتصافوا قبل فوات الآوان

ولكن الشيء العجيب الذي حل علينا وزاد بكثرة هو قسوة بعض القلوب، والناظر إلى الذنوب لا يستغرب كثيرًا لأن الذنوب هي التي تميت القلوب، فما بقي شيء لم نفعله من الذنوب بل بعض البشر يتعجب الأبالسة من أفعالهم

إن اللامبالاة التي يعيشها بعض الناس عند زيادة الدماء وفقد الأحبة نتيجة طبيعية لحب الدنيا والتمسك بها والصراع فيها وعمل أي شيء مقابل هوى

النفوس التي لا تشبع ولا ترضى أبداً فكانت العزلة والرضا بالبقاء في كينونة النفس وحبها والفرح لمصيبة الناس شيئ موروث ومتكرر عند البعض إلا من رحم الله

إننا مع مرور الأيام نفقد شيئاً عزيزًا على النفوس نفقد الوفاء بين الناس والمحبة التي كانت من القلوب، فأصبح الوفاء نادرًا بيننا تجد بعضنا عند تشييع الجنائز وكأن شيئاً لم يحدث حتى ولو كان المفارق في ريعان شبابه أو شخصاً كان بيننا الآن يتحدث تجد بعض الناس يحملون الجنائز ويتحدثون في أمور الدنيا ويتصارعون عليها والغيبة والنميمة شعار البعض فيهم، هل أصبح حتى الموت لا نتعظ منه، فإذا كان الموت أكبر مصيبة لا نتعظ منها فماذا بعد؟، كنا نرى أن النزول إلى المستشفيات والمصحات شيء يلين القلوب ويجدد شكر الإنسان لنعم الله عليه فقد تجاوزنا كل هذه الحدود

فإن الموت هي الحقيقة الكبرى في هذه الدنيا وما لنا إلا التسليم لقضاء الله وقدره وما فقيدنا أعز علينا من حبيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن وفاته أعظم مصيبة، وفراق ما دونه أهون علينا فعندما تصاب أو تبتلى فتذكر حبيبك وفراقك له، وعليك الاسترجاع والاحتساب والصبر الذي هو نصف الإيمان، رزقكم الله طول العمر وحسن العمل وحسن الختام.

* * *

الوادي الطيب والأوغال

حدثني أحد المهاجرين آنذاك في الفترة العصيبة التي مرت بها منطقة قناة السويس بأنهم اضطروا إلى النزوح إلى محافظات مصر الأخرى، وترك بلدانهم الإسماعيلية والسويس وبورسعيد، تاركين كل شيء باحثين عن مكان آخر يأويهم حتى يأتي نصر الله، فما كان من ساكني المحافظات الأخرى في هذا الوقت إلا حسن الضيافة القوية بالرغم من الظروف الصعبة التي كانت تمر بها مصر، فكان من لديه أكثر من مسكن تبرع بأحدها لعائلة أو أكثر من هذه العائلات ولا يَطعَم أحدهم إلا ويقدم من طعامه شيئًا لهم وظلوا هكذا فترة كبيرة من الزمن.

وحدثني آخر بأنه عندما كان يستيقظ في الصباح ذاهبًا إلى العمل ويقابله جاره في المنزل يظل يدعو له حتى يمضي من الطريق، ورأيت قديمًا كم كنا نركب المواصلات وتقف الشباب لتجلس النساء والشيوخ والأطفال، ورأيت من يترك طريقًا يمشي فيه خشية أن يلتقى بمعلمه، وشاهدت في ظروف الفقر كيف كانوا يعيشون أُسرًا مكونة من اثني عشر فردًا في بيت واحد يضيق بهم ولكن سعداء، وكيف كان الابن يتزوج في غرفة واحدة من بيت أبيه، وزوجته تصبح فردًا من العائلة بمعنى الكلمة، وأن الكبيرين في البيت

يصبحان أبويها، وأن الإخوان يصبحون إخواتها، وأن لفظ كلمة طلاق كان غريبًا في الأوساط، وأن طعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية، وأن يد الله مع الجماعة، وأن مهما قل المال فالابتسامة لا تترك الوجوه.

وسمعت من عجوز بأن النساء في صعيدنا كنَّ يحملن ويلدن ولا يعلم بهن جيرانهن إلا بعد الولادة، وأن النساء كنَّ يحتشمن في مصر كلها، وأن من تعري جزءًا من جسدها كانت حالات شاذة تصيب الباقية بالاشمئزاز منها بل يتجنبها كثيرون، كانت المرأة تخشى أن تمر من شارع يكثر به الرجال خوفاً من أن ينظر أحدهم إليها، وأنه من العيب أن يعلو صوتها في أي موقف، وكنا نشعر بأنها جوهرة مصونة لا يقترب منها إلا صاحبها، وكنا نرى المصري يستطيع أن يضحي بنفسه دفاعًا عن امرأة مصرية لا يعرفها حتى لو كانت غير مسلمة، وأن الاختلاط في الجامعات كان عيبًا كبيرًا وإن كان ولابد أن يقسم المدرج بين الشباب والبنات.

كانت هناك نخوة غير عادية ورجولة واضحة، حتى في الصبيان المارين من شوراع المدينة، كان هناك كرم كبير برغم الفقر والدخل الضعيف، ولكن البركة كانت تحل على أرض المحروسة كلها، فقط لأن النفوس كانت نقية لا تحمل غلاً ولا حقدًا ولا حسدًا إلا حالات قليلة، كانت هذه الحالات معروفة وشاذة وينفر منها الناس، كان الجيران مترابطين بشكل غير عادي لدرجة أن

منهم من يترك الحي إذا ترك جاره بيته، كانت المدن والشوراع يملؤها طقس المحبة والرحمة، أنا لا أبالغ فيما أقول، ولكن اسأل جدك وشيخك وقريبًا لك دب الشيب في رأسه.

كان رمضان في مصر يختلف عن باقي دول العالم، طقوس تملؤها الفرحة بالمحبة بين الناس والرضى بالقليل، كان الجود والإحسان يملأ ميادين البلاد، وتعم موائد الإفطار ليلتقي بها الغني والفقير والمسافر وغيرهم، وكانت المآذن تتلألأ بأفضل الأصوات وأعذب التلاوات، وكان الجيران يوزعون الأطعمة على بعضهم البعض، ويأتي العيد والكل يصل رحمه دون مصالح أو أهداف.

فما حدث في هذه الأيام من سوء خلق وانحلال عام، من ألفاظ نابية وعدم احترام للكبير وبجاحة في الكلام وانعدام النخوة والرجولة، إلا من رحم الله، عري في الملابس، ولا أحد يطيق أحد، ولا أحد يلتمس العذر لأحد الكثير يمشي بمبدأ أنا ومن بعدي الطوفان، ويتناسى أن الأيام دول ولا يدوم عبد على حال واحد أبدًا، كل هذا ما هو إلا نتيجة ذنوب تراكمت منذ سنين وسيادة الجهل الذي هو عدو الإنسان الأول والتمسك بالفاني وترك الباقي.

إضافةً إلى الابتعاد شيئًا فشيء عن الدين، بداية من فتاوى السلطان مرورًا بتحليل الربا والرشاوي وتفشي الفساد في كل أرجاء البلاد، من تدمير للمؤسسة التعليمية وعدم احترام المعلم الذي انشغل بتجميع أكبر قدر من

الدروس الخصوصية التي استنزفت الأُسر فأصبح هدف المعلم الأول هو تجميع المال وليس العلم، فغاب دور المعلم في التعليم، وفقد أن يكون القدوة والأسوة الحسنة لطلابه، بالإضافة للانشغال التام من الأسرة بجمع المال وترك الأولاد بين أجهزة حديثة وفضائيات وتكنولوجيا عالمية تصنع وتشكل الأولاد كيفما شاءت، فكان الوقت غير كاف من الأم والأب لمتابعة أبنائهم، فحصل انفلات أخلاقي من جهة الأبناء وحدث التطاول والسب على الوالدين، وفقدان العلم والبصيرة في الحياة ومع كثرة هذه الحالات، كل هؤلاء خرجوا إلى المجتمع ليبينوا خلل الأسرة الأول في السيطرة على تربية الأبناء.

وحدث ولا حرج عما يحدث في المؤسسة الإعلامية من انهيار تام من مضمون البث فانفتحت القنوات على ملأ، فشغلت الناس عن العبادة والمكوث أمام شاشات تعرض كل ما يغضب الله، وتبث السموم في أجيال تعلمت كل شيء قبيح من خلال أفلام هابطة ومسلسلات لا هدف لها، وزيادة برامج الأخبار المسمومة التي أثرت بالسلب على الناس وأظهرت المجتمع كأنه غابة يقتل القوي فيها الضعيف.

والغريب أن أخلاق المصريين تتغير في الأزمات، بمعنى لو قرأت التاريخ لوجدت الوحدة بين المصريين في أوقات الحروب والثورات والاتحاد بينهم،

وحبهم بعضهم بعضا فهل ينتظر المصريون الاستعمار والحروب حتى يحبوا بعضهم بعضا ويقبلوا بعضهم بعضا؟.

والحل من وجهة نظري بالرجوع إلى الله وفرض تعليم الدين الإسلامي في المناهج منذ الصغر حتى الجامعة، والاهتمام بالصلاة وجميع أركان الإسلام، تأهيل المقبلين على الزواج بمعرفة لماذا نتزوج؟ وما رسالتك من الزواج؟، عدم المساعدة على نشر الإعلام الهابط سواء من أفلام ومسلسلات وبرامج كئيبة وحاول أن تكون أنت الإعلام البديل على قدر استطاعتك بوقوفك أمام الباطل وقول لا، بعدم نشر ما هو سيئ وإيقافه عندك، بعدم قدومك على سماع فيلم هابط وهجومه، بقراءتك في الفقة والدين حتى تستطيع أن ترد على المشوهين للدين.

وأهم شيء أن كل شخص يبدأ بنفسه ومن يعول ويحاول أن يغير المنكر الواقع أمامه على قدر المستطاع وعدم اليأس في ذلك فبين غمضة عين وانتباهتها يبدل الله من حال إلى حال، عدم دفع الرشوة وعدم المساعدة على ذلك، الدعاء دائمًا بأن يصلح الله البلاد والعباد، عدم أكل الحرام والتفشي فيه.

لا تجعل همك هو جمع المال فقط بأية وسيلة مشروعة أو غير مشروعة وتترك هذه الأموال لمن لا يترحم عليك وتلقى مصيرك وكتابك ينطق عليك

بكل صغيرة وكبيرة، فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره.

لا تقلد في الخطأ وراقب الله في جميع أعمالك وتصرفاتك؛ فكل واحد يحاسب على عمله ونفسه.

انظر للسابقين وخذ العبرة والعظة وأنه لن تدوم الدنيا لأحد، فمن ظلم فالله بالمرصاد ومن أكل حرامًا، فلن ينفعه ومن ارتشى فقد لعنه الله ومن جمع مالاً من حرام فالنار أولى به، اعلم حقيقة الدنيا حتى ترتاح فيها؛ فهي دار ممر وليس دار مستقر، فما أنا وأنت إلا في رحلة قصيرة وسنعود قريبًا؛ فاترك كل ما أنت تاركه إلا عملاً صالحاً، حتى تعود بلادنا أجمل مما كانت وترجع مصر أرض طيبة مرة أخرى وتخرج منها الأوغال ويعود المجتمع نظيفًا ويسود الحب والرحمة بين الناس.

* * *

ذوقيات افتقدناها

في دروب الحياة نتعرض لأشياء كثيرة افتقدناها في حياتنا بعدما كنا نمتلكها كمسلمين؛ من حسن الخلق والعفو عن الناس وغيرها من الأخلاق الحميدة التي حث عليها الإسلام وعلى سبيل المثال لا الحصر نتعرض إلى:

الفضول الزائد

لا تكثر الفضول، ولا تسأل الناس أسئلة تزيد جراحهم فدع لكل شخص أسراره وحياته، فالله أعلم بما في القلوب، وثق بأنه من حسن إسلامك تركك ما لا يعنيك، فلا تسأل الناس لماذا لم تتزوج حتى الآن؟ ولماذا لم تنجب حتى الآن؟ ولماذا لم تعمل حتى الآن؟ فقد تسأل وأنت حسن النية ولكن تتسبب في تجديد جراح من تسأله، فمن تقول لها متى نرى خاتم الخطوبة فهي لا تملك من أمرها شيئًا، فقط تنتظر قدر الله فلماذا تزيد هذا الجرح؟ ومن تخبره بمتى ترى أولاده فلا بد أن تعلم أن كل شيء بقدر الله فلا تجعل فضولك الزائد يتسبب في جرح لناس ليس لها ذنب في تأخير أو تعجيل أحوالهم، فالله يعلم وأنتم لا تعلمون.

إساءة الظن

لا تسئ الظن بمجرد وقوع الخبر على قلبك، مهلًا فربما يكون شيئًا في الخفاء لا تعلمه، فقد تسيء الظن ثم تتخذ قرارًا بذلك ثم تندم بعد مرور الوقت، فالحلم والأناة صفتان يحبهما الله فكن متأنيًا في الحكم ولا تستعجل، فطبيعة الإنسان العجلة قد تتسرع بالحكم ثم تندم، فلا تحكم حكمًا يقينيًا، ودع الأيام تثبت لك ما خفي فقد يكون هناك اعوجاج في الساق ولكن القلب مستقيم.

مقابلة الكرم باللؤم

عندما يسوق الله لك رزقًا سهلًا كزوجة مهرها قليل أو طلباتها قليلة فلا تفكر بأنها رخيصة وترضى بأي شيء من مذلة وغيره، فكن كريمًا وعاملها بما يرضي الله ولا تقابل الكرم بجحود فقليلا ما ترى مثلها وتعامل بهذا المبدأ في كل حياتك، ليس كل ما تحصل عليه بثمن رخيص لا تعطيه اهتمامك الكامل والغالي فقط من تشعر بأنه ذو قيمة وحده، فلا تكن مع الكريم لئيما وكن في كل وقتك كريمًا.

راعِ غيرك

إذا أردت أن تسمع ما تشاء سواء أكان حلالًا أم حرامًا، فكن ذا ذوق واسمع على قدرك فقط. ليس شرطًا أن تسمع كل من حولك فربما مريض لا يستحمل ضجيج موسيقاك، وربما جارك يتأذى منك وربما آخر يقرأ القرآن، وربما طالب يستذكر دروسه وغيرهم، فإذا أردت أن تعصي الله فاعصه سرًا، فالله لا يحب الجهر بالسوء وحتى لا يشهد عليك كل هؤلاء يوم القيامة فيقتصون منك بسبب إيذائك لهم.

ارضَ بنصيبك

إذا رأيت من أخيك ما يعجبك فسمِّ الله وادع له بالبركة، فلا تدري ماذا أخذ الله منه وأعطاه هذه النعمة؟، فالله سبحانه يُنزل بقدر وله الحكمة في كل شيء فاعلم دائما أن الله بك رحيم وأراد بك الخير فيما أعطاك وفيما منع عنك وتذكر قوله تعالى: (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما).

شماعة فشلك

لا تعلق شماعة فشلك بالافتراء على الناس بمعنى إذا رأيت شخصًا ناجحًا لا تنسب إليه الآثام والأقوال من أجل أنك رأيته ناجحًا وأنت مازلت في الطريق لم تصل بعد، فإما أن تدعو له بالتوفيق ولك بالمثل أو تصمت ولك الأجر، فلا تعلم ما هي الظروف التي مر بها هذا الشخص حتى يصل إلى هذه المكانة وهذا النجاح، فإما أن تتخذ سبيلًا وطريقًا للنجاح وإما أن تترك الناس يزيدون في النجاح، فمن فشل ويتمنى للناس الفشل مثله ويفرح لفشلهم فهذا حقًا مفلس وسيبقى في الفشل ما شاء الله.

الألفاظ البذيئة

المنتشرة بين الناس في هذه الأوقات تزيد غضب الله علينا إن لم ننكرها على من يفعلها، فهي بمثابة ضياع للأخلاق وزيادة للفحش والبغضاء، فضلًا على أن ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، فإن الاعتياد على هذه الألفاظ يُصعّب الإقلاع عنها، ومن ثم لا يستطيع اللسان أن يعتاد على الكلام الحسن ويصعب نطق الشهادتين عند الموت.

الشماتة

ما بين شماتة الأمس وشماتة اليوم يزداد الجرح ويفترق الشمل وتزيد الكراهية والحقد ويسهل للعدو الوصول لأهدافه والكل مدعٍ أنه محق ويعيش في وهم، فلا تعيّر أخاك بذنب فعله فيرحمه الله ويبتليك، ولا تفرح في الموت، فهناك قلوب تتقطع على فراق أكبادها، ولا تفرح بأذى أخيك من خسارة في المال أو غيرها، فالأيام دول ولن يستمر أحد على حاله، وقل دائمًا خيرًا أو اصمت.

امسك لسانك

رفقا بالناس بكلماتك القاسية التي تنطقها ولا تلقي لها بالًا ولا ينساها الآخرون قد تتسبب في إيذاء الناس بهذه الكلمات لفترات كبيرة من الزمن فمنذ أكثر من عشر سنوات قال لي أحدهم كلمة أثرت بي بشكل كبير، وهو الآن أو غيره لا يعلم ماذا فعل، ويتكرر هذا المشهد مع الكثير فكن رفيقًا بالكلمة فالبر يا صديقي شيء هين وجه طليق وكلام لين.

الكبر والغرور

مسكين من يحملهما في قلبه بعد كل ما يحدث أمامه الآن، ويرى بعينه كيف يذل الله من يشاء ويعز من يشاء، فمن يعرف حقيقة وجوده وما ينتظره بعد موته وما هو فيه الآن ما هو إلا فضل من الله عليه وأن الله فضله على كثير من خلقه، من يعرف ذلك لم يصبه الغرور ولا الكبر أبدًا، بل إن الإنسان وجب عليه أن يتواضع لله حتى يرفعه الله، فلا تنازع الله في شيء خاص له فقط.

الوفاء

من الأشياء الجميلة التي فقدناها كثيرًا في حياتنا فقليل من يتذكر صديق دراسته وجاره القديم وزميل عمله وصديق والده، ويحث على زيارتهم وبرهم وكثير من يتخلى عنك من أجل المال وينسى ما كان بينكما وكأن شيئًا لم يكن، بل أصبح من يمتلك الوفاء يقال عليه بأنه شخص غير طبيعي.

احترام الكبير

إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، فمن الذوقيات والأخلاق المفتقدة الآن عدم احترام كبير السن وتبجيله وتعظيمه إكرامًا لله وعدم توقيره في الكلام والمجلس وغير ذلك حتى من أبنائهم إلا من رحم الله، فلنعد لهذا الخلق الجميل حتى تجد من يفعل معك ذلك عند كبرك، وحتى تُشعر الكبير بالسعادة وحسن الخلق.

صلة الرحم

الإحساس بالآخرين خاصة الأقرباء شيء جميل افتقدناه في زمن طغت عليه المادة وأصبح العنصر المتكلم هو "أنا ومن بعدي الطوفان"، فتركنا من يربطنا بهم صلة الدم وانشغل كل واحد بحاله دون سؤال إلى أن نتفاجأ بخبر الوفاة الذي يصل إلى قلوبنا بشيء من اللامبالاة وكأن شيئًا لم يكن، وتستمر الحياة وكأننا لم نفقد عزيزًا ولا أخًا، طغت الذنوب على القلوب فأفسدتها وجعلتها قاسية، ثم أكملت عليها الحياة المادية فجعلت كل شيء له مقياس لدينا فلا سؤال إلا لحاجة ولا زيارة إلا لمصلحة.

التصوير المبالغ فيه

آفات التصوير التي اقتحمت حياتنا وأصبح المهم هو التصوير حتى ولو كان الذي تصوره شخصًا يفارق الحياة ويتوسل إليك، ولكن انشغالك بنشر الصور وكتابة توقيعك عليها بأنها حصرية لك فقط، وكيف أبدعت في التقاطها، أشغلك عن إنقاذ حياة إنسان وخرجت من دائرة ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا، ولكن ضع نفسك مكان المتوسل إليك وسترى الفارق وأتمنى ألا تكون في مكانه يومًا حتى لا تشعر بما شعر به.

احترام المعلم والعلماء

فهم ورثة الأنبياء لهم عليك فضل وحقهم أن تبدأهم بالسلام وألا ترفع صوتك عليهم وأن تبجلهم وتحترمهم في كل وقت، حتى ولو اختلفت مع أحدهم وجب عليك أن تحترمه وتقدر رأيه.

هذا بعض ما فقدناه في حياتنا ولو فتشنا لوجدنا الكثير والكثير، فعلينا أن نعود إلى أخلاقنا وقيمنا التي حث عليها الإسلام وتباعد عنها المسلمون.

* * *

نقطة سوداء

إن الزواج من نعم الله على عباده فقد جعله الله سكنًا ورحمة ومودة بعد أن امتن الله على بني آدم وجعل من أنفسهم أزواجًا ليسكنوا إليها، وجعل الله الطلاق وأحله في كل أديانه مخرجًا عند تعذر استمرار العيش بينهما وعند بلوغ النفور مبلغًا عظيمًا، فقال سبحانه: "وإن يتفرقا يغنِ الله كلا من سعته وكان الله واسعًا حكيمًا" (النساء:130).

وفي تفسير هذه الآية الكريمة قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله وإن يتفرقا أي: بطلاق، أو فسخ، أو خلع، أو غير ذلك (يغن الله كلا) من الزوجين (من سعته) أي: من فضله، وإحسانه الواسع الشامل، فيغني الزوج بزوجة خير له منها، ويغنيها من فضله، وإن انقطع نصيبها من زوجها، فإن رزقها على المتكفل بأرزاق جميع الخلق، القائم بمصالحهم، ولعل الله يرزقها زوجًا خيرًا منه (وكان الله واسعًا) أي: كثير الفضل واسع الرحمة، وصلت رحمته وإحسانه إلى حيث وصل إليه علمه، وكان مع ذلك (حكيمًا) أي: يعطي بحكمه، ويمنع لحكمه.

وترجع أسباب الطلاق لأسباب عدة نذكر منها:

- إن من أهم أسباب الطلاق في المجتمعات العربية أن كلا الطرفين يظنان أن كل واحد فيهما خسارة في الطرف الآخر وأنه من المفترض أن يحصل على أفضل من ذلك فتنشأ لديه رغبه بعدم الحمد وعدم قبول نصيبه فيتمرد على ذلك وتبدأ الخلافات من هذا المنطلق.

- ومن أسباب الطلاق أن من حولنا يبتزوننا بكلامهم الجارح ليكون دافعًا لهم حول تحريكنا نحو القبول بما هو متاح حاليًا وهي (زواجه والسلام(

- سوء الاختيار سواء من الرجل أو المرأة بسبب الاستعجال حتى تتخلص من كلام الناس والأصدقاء وغيرها من الأمور التي أصبحت عبئًا كبيرًا على الوالدين والنساء عامة فيجعلهم مع الضغوط يستعجلون في القبول ممن يطرق الباب.

- عدم البحث عن صاحبة الدين أو صاحب الدين والانخداع بالتدين المغشوش بمعنى أن تنخدع الفتاة بشاب يبدو عليه التدين وينخدع الشاب بعائلة يبدو عليها التدين ثم تفاجأ بالحقيقة كاملة بعد الزواج.

- التركيز على الماديات من جهة الطرفين خاصة أهل الفتاة والمطالب التي تترك أثرًا كبيرًا في نفس الزوج من سوء استغلاله منهم.

- كثرة الذنوب من الزوجين أو أحدهم، قال أحد السلف إني لأرى أثر معصيتي في خلق دابتي وزوجتي.

- التدخل في شؤون الزوجين من قبل الأهل مما يسبب مشاكل لا حصر لها ولهذا وجب على الزوجين من البداية حسم هذه المشكلة لأنها من أكبر مسببات الانفصال بين الزوجين.

- العناد بين الزوجين أو أهلهم، وكلٌّ يدعي أنه على حق، فالمرأة العنيدة لا تصلح مع زوج عنيد ولا تصلح مع غيره لأنها ببساطة هي الأضعف فوجب عليها التعامل بذكاء ووجب عليهما أن يتعاملا بمبدأ أنه لا يوجد إنسان كامل فلا يفرك – يبغض – مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر.

- عدم الجدية والخبرة من بعض الشباب المتزوج حديثًا وكثرة لفظ التهديد بالطلاق، وعدم اللامبالاة وذلك بسبب اعتياد بعضهم على حياة من نوع معين وروتين خاص فيتفاجأ بحياة جديدة ونظام جديد سواء من الشباب أو الفتاة التي كانت مدللة في بيت أبيها وجميع مطالبها مجابة.

- عدم الإنصات لوسائل الإعلام من مسلسلات وأفلام هابطة جاءت إلينا من هنا ومن هناك فتركت بصمات في البيوت العربية وأثرت على كثير منها خاصة النساء اللاتي يقارن بين أزواجهن وأبطال تلك المسلسلات.

- كثرة الشك والبخل والطمع والإهمال وطلب الكمال وعدم الصبر على أخطائهم والانشغال بالأهل والأصدقاء وترك بعضهم البعض.

الطلاق ليس حرامًا ولا بغيضًا

قد طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة رضي الله عنها وذلك لإفشاء السر وراجعها بأمر الله فقال رسول الله قال لي جبريل: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة.

الطلاق هو باب الرحمة لنجاة أشخاص يعيشون وسط هم وغم لا يعلم بحالهم إلا الله وقد يكون حلًا أخيرًا لحياة لم يُرجَ منها فائدة ولا إصلاح بعد أن أغلقت كل الأبواب في وجوه المتزوجين، فيكون الطلاق أمرًا لابد منه بعد أن أصبح لا يؤدي الزواج المقصود منه وهو السكن والمودة والرحمة ونشأة جيل يعبد الله حق العبادة، بعد أن أصبح رؤية كلاهما بغيض على الآخر وأصبحت الخسائر أكبر، فلابد من الخروج بالمعروف كما أمر الله، ولم يُشرعه الله ويُنزل به سورة كاملة في القرآن إلا لأهميته وقد ضعف أهل العلم حديث أبغض الحلال إلى الله الطلاق وقيل لأنه لا يوجد حلال بغيض.

نظرة المجتمع للمطلق والمطلقة

في المجتمعات العربية لابد أن يكون سجلك الحياتي مسجلًا دون نقاط سوداء حتى يقبلوا بك في حياتهم بمعنى إذا كنت مطلقًا أو مطلقة أصبحت تحمل نقطة سوداء في سجل حياتك، حتى ولو كنت مجنياً عليه أو كنتِ مجنياً عليها، ولكن هذه الشعوب تربت فقط على سوء الظن وبمجرد سماع

لقب مطلقة علت أصوات الشك وأصوات سوء الظن ولمَ لا وقد كان الطلاق فخ إبليس المنصوب والمحبب له، ولكن ما يفعله إبليس بالناس بعد الطلاق لا يقل خطرًا عما فعله قبل الطلاق.

تلك الكلمة التي يشعر من يحملها بأنها تجلب العار لصاحبها ولا أدري كيف الناس يقبلون أن يعيشوا حياتهم في ذل ومهانة وانكسار ولكن يرفضون لقب هذه الكلمة، كيف يوافقون أن ابنتهم تعيش مع زوج قاسي القلب وبه كل الصفات السيئة التي لم تظهر إلا بعد الزواج أو كان يخدعها بها ولم يظهر عليه كل ذلك، وكيف لرجل يقبل أن يعيش في جحيم امرأة لا تحمل أي صفة من صفات الأنثى في ظل ألا يحصل على هذا اللقب، اشتكى رجل لأحد الصالحين من زوجته فقال له منذ متى وأنت تعيش في هذا؟ فقل له منذ أربع سنوات قال له منذ أربع سنوات وأنت تتجرع السم؟ لماذا!

الحلول المتاحة والممكنة

- تطبيق تجربة ماليزيا في موضوع الطلاق التي استطاعت بخفض معدل حالات الطلاق من 32% إلى 7% وذلك بخضوع المقبلين على الزواج بأخذ دورات في كيفية التعامل مع الشريك ولا شك أن جدية هذه الدورات وتطبيقها العملي يؤثر إيجابيًا على الحياة الزوجية.

- كما قلنا من المشاكل تدخل الأهل في مشاكل الزوجين فإن من الحلول أنه يجب عدم التدخل لأنه بالفعل هم أكثر الأسباب المؤدية للطلاق، بل وجب عليهم النصح بما يرضي الله عند حدوث مشكلة.

- تقوى الله هي حل لكل مشكلة مستعصية ومراعاة السؤال أمام الله عن هذه الزوجة وأيضًا الزوجة ستسأل عن كل أفعالها مع الزوج.

- التفقه في الدين من جانب الزوجين يريح ويقلل المشاكل فلو علمت المرأة حق طاعة الزوج فيما لا يعصي الله، وفهم الزوج "استوصوا بالنساء خيرًا" لتفادوا مشاكل كثيرة قبل الوقوع فيها.

- عدم إفشاء السر، قال الله تعالى: "فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها".

- الرضا، هو أن يرضى كلا الطرفين ببعضهما البعض بل وترضى الزوجة بكل ما يملك الزوج من مال قليل أو كثير.

- فهم مداخل كلٍّ منهما لبعض وذلك من فترة الخطوبة وليس بعد الزواج فقط وهذا يسهل كثيرًا على الزوجين أن يعرف كل واحد منهما ما يسعده

وما يغضبه وتحديد هذا التوافق من فترة الخطوبة حتى يستطيعا وضع قرار بقبول متطلبات الآخر أم لا.

- دور الإعلام الإيجابي في نشر الوعي الثقافي للحياة الزوجية، ودور الأهل والأصدقاء الإيجابي في عدم الاستعجال في الطلاق ووضع حلول ممكنة بينهما.

- التوافق الفكري والعلمي والاجتماعي بين المتزوجين هذا من أهم أسباب الاستقرار بعد الزواج وإن كان بعض الناس يغفلون عن أهميته.

- الاعتراف بنقص كل إنسان على وجه الأرض وأننا جميعًا ذوو أخطاء ولا يفرك مؤمن مؤمنة إن كرِه منها خُلقًا رضي منها آخر، فلا أنت كامل وهي بطبيعتها بها نقص وهذا خلق الله وليس عيبًا بها أو ذنبًا عليها.

- هناك الكثير من الحلول التي قد تساعد على لم الشمل ولكن إذا استحالت العشرة فليس شيئًا صعبًا في ديننا بل رخص الله لنا الطلاق وجعل كل شيء يسيرًا ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، فالعبرة باتخاذ الأسباب في البداية وتجنب الوقوع في كل هذه المشاكل من البداية، فليس عيبًا أن تقف وتقرر التصحيح، وعلى جميع الناس عدم إساءة الظن للمطلق والمطلقة ولا تعير أخيك حتى يرحمه الله ويبتليك.

* * *

اسجد واقترب

نحن نعيش أحيانًا بين يأس وأمل، وبين حزنٍ عميق وبين فرح، بين مرضٍ وعافية وبين انتظارٍ للفرج وفقدٍ للأمل، وبين أوجاعٍ من الأهل والأحبة، وبين اتهامات زور وذنوب تتراكم عليك كل يوم تفقدك الأمل في غد تعيش بخوفٍ منه، تنادي بأن شموع عمرك اقتربت من الثلاثين أو تجاوزتها وأنت مازال أصبعك خالياً، يتهمونك بأشياء لا تمس لك بصلة وأنت منها بريء والله يعلم ما يقولون.

يتلفظون ويحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم، عناء نعيشه بين البشر كتب علينا ألا يترك أحد في حاله تتخيل مع نفسك بأنك تستطيع إرضاء كل البشر ولكن لا تعلم أن رضاء الناس غاية لا تدرك، مهما حاولت فلن تستطيع ولن يتركوك في شأنك فاكهة مجالسهم هي الغيبة والنميمة يزين لهم الشيطان أعمالهم ويجعل سيرة الناس بينهم حديثاً ممتعاً، يفرحون بالشماتة لذنب أخيهم.

ويخيل لهم بأنهم بذلك سعداء بل هم أتعس الخلق، تلوثت قلوبنا فأصبحنا قساة القلب نلوم الجلادين ونحن نجلد أنفسنا ونلوم السلاطين ونحن أقسى قلوب على أنفسنا فما حالنا تغير بتغير قلوبنا، نعيش بين وهن وضعف وحب للدنيا زائد سباق إلى سراب أوله كآخره لا يسمن ولا يغني من جوع

نشكو كل يوم من الأيام والظروف ولا نقدم لله ما يحب بل نزيد في البعد إلا من رحم الله كل مشاكلنا كل حلها في سجدة بين يديه سبحانه وتعالى لو أقبلنا عليه بقلوبٍ خاشعة ذليلة باكية نادمة على حالها، نريد الجنة ولم نسلك مسالكها، ولكن سلعة الله غالية لا تنال إلا بالتعب والعطاء لله والقرب منه والإنابة إليه.

تسأل كل البشر والله أقرب إليك من حبل الوريد فهل جربت القرب منه وشعرت بلذة الخشوع له، إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، واعلم أنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك بها درجة، وإذا كنت تريد مرافقة الحبيب في الجنة فأكثر من السجود، فأعلم يا أخي أن الله غني عن عذابنا ولكن المقصود من البلاء هو الرجوع إلى الله والفرار منه إليه، وأن الله سبحانه جعل مع العسر يسرًا ومع الضيق فرجًا فسنته سبحانه في الأرض أن جعل بعد الليل نهارًا وجعل فصولاً أربعة تتعاقب بين شتاء وربيع وصيف وخريف، وهذا ليعلمك بأن دوام الحال من المحال، وملك الملوك كل يوم هو في شأن فكل ما أنت فيه من بلاء وحزن هدفه تطهيرك قبل اللقاء فهو يحبك ويريدك أن تلقاه وليس عليك ذنوب.

فيا من تحمل هموم المستقبل الذي هو بين يدي الله ويا من تحملين هم الزواج ويا من تحمل هم الرزق والعمل ويا من تحمل هم المرض ويا من تحمل همومًا كثيرة كل ذلك يذهب بسجودك لله وشكوتك إليه ومناجاتك في

جوف الليل وخضوعك وذلك وانكسارك بين يديه فقلبك وحالك بين يديه هل وقفت بابه تطلب منه العفو هل جربت أن تناديه بالرحيم والودود هل جربت أن تشكو إليه همك؟ هل سلمت الأمر له وتوكلت عليه؟ هل فوضت الأمر إليه وطلبت منه الحل؟ ستتعبك البشر مهما حاولت ويغضب الله عليك إذ لم تسأله.

قال ابن القيم في الوابل الصيب: "والإقبال على الله تعالى، والإنابة إليه، والرضا به وعنه، وامتلاء القلب من محبته واللهج بذكره، والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل، وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة"، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: "إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة" إنها جنة الدنيا، كما سماها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، إنها الجنة التي لما دخلها الداراني قال: (إنه لتأتي على القلب أوقات يرقص فيها طربًا من ذكر الله؛ فأقول: لو أن أهل الجنة في مثل هذا؛ إنهم لفي عيش طيب).

بداية دخولك جنة الدنيا تبدأ بسجدة بين يديه سبحانه وتذكر سجود سيدنا أيوب عليه السلام حتى منّ الله عليه بالشفاء العاجل، والكثير الكثير من عجائب السجود فأكثر من السجود والدعاء وأنت ساجد سترى كل مشاكلك تحل بأمر الله.

* * *

السلام الداخلي

من يمتلك السلام الداخلي كأنه يمتلك الدنيا بحذافيرها، ولم لا! وقد تصارع الملوك عليه وعلى راحة البال ولم يجدوهما، بل إن أغنى أهل الأرض يتمنى أن يعيش مرتاح البال حتى ولو أنفق ملكه كله، السلام الداخلي ليس لأي أحد من البشر أن يحصل عليه، فهو مثله مثل الشهادة لا تكون إلا لسليم الصدر.

ولا يتحقق السلام العالمي إلا من خلال السلام الداخلي، بل إن السلام الداخلي مطلب شرعي أمر به الله ورسوله قال تعالى (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)، وعندما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم: "أي الناس أفضل؟ قال كل مخموم القلب صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد.

وجميعنا يعلم قصة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، مع الرجل الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة، فقال له الرجل: "ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من

المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق".

ومن هنا أحببت أن أوجه كلامي لمن تعرض للظلم في هذه الحياة وهم كُثر، بل إن أغلبنا تعرض للظلم من الآخرين، من الناس من اعتدى عليك بالسب واللعن، ومنهم من أكل مالك ومنهم من سب عرضك، ومنهم من أخذ حقاً لك، وغيرها من أنواع الظلم التي نتعرض لها كل يوم في حياتنا، فلا بد أن نسامح وأن نعفو عن من ظلمنا، وأن نفرغ الشحنات السلبية التي نعيش بها

أعلم أن الموضوع ليس بالأمر الهين، ولكنه أسلم لك لتريح قلبك من هم العداوات، وهم الكره والغل الداخلي، وتذكر أنه ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزاً، فالعفو والتسامح ليس أمرًا سهلاً على النفس في البداية ولكن بالتدريج سيكون أمراً سهلاً.

ولك في رسولك الكريم صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة، نعلم جميعًا كيف فعل به أعداء الله في حياة الدعوة وفي غزوة أحد، وفي الطائف وفي مكة، كل ذلك وقال لهم: "يغفر الله لكم اذهبوا فأنتم الطلقاء" وغيرها من المواقف المشهورة مثل حادثة الإفك.

وتذكر أيضًا سيدنا يوسف عليه السلام بعد كل ما فعله إخوته به قال لهم: "لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم"، فالكريم لا يحمل حقداً في قلبه أبداً، فكن من الكرماء وسامح الناس حتى يسامحك الله..

قال ابن القيم رحمه الله: "يا ابن آدم! إن بينك وبين الله خطايا وذنوباً لا يعلمها إلا هو، وإنك تحب أن يغفرها لك الله، فإذا أحببت أن يغفرها لك فاغفر أنت لعباده، وأن أحببت أن يعفوها عنك فاعف أنت عن عباده، فإنما الجزاء من جنس العمل"، تعفو هنا يعفو هناك، تنتقم هنا ينتقم هناك، تطالب بالحق هنا يطالب بالحق هناك".

ولله در الشافعي حين قال:

لمّا عفوت ولم أحقد على أحدٍ
أرحت نفسي من هم العداواتِ

إني أحيي عدوي عند رؤيتهِ
لأدفع الشر عني بالتحيات

وأظهر البشر للإنسان أبغضه
كما إن قد حشى قلبي محبات

الناس داء ودواء الناس قربهم
وفي اعتزالهم قطع المودات

فأنصحك بأن تراجع نفسك وتفرغ ما بداخلك من عداوات وغلٍ وحقد، على من ظلمك وسلم الأمر لله..

ويكفيك حسبنا الله ونعم الوكيل بأن تريح قلبك وتطفئ نارك، فالله يعلم ما حدث لك ومُطلع على كل كبيرة وصغيرة، وهو المنتقم الجبار، فلا تضيع وقتك وصحتك في التفكير فيما حدث، وتعلم من أخطائك حتى لا تقع فريسة مرة أخرى لمعدومي الضمير..

وتذكر أنه لا يلدغ المؤمن من الجحر مرتين، فجرب أن تنام اليوم وأنت قد عفوت عن من ظلمك، مسلم أمرك لله، على يقين ووعد من الله أنه ناصرك ومعوضك خيراً، قال تعالى (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) بلى يا الله.

*** * ***

حقيقة الرزق

مخطئ من يظن أن الرزق مالٌ فقط، ولكن المال جزء من الرزق وليس كل الرزق، فالمال رزق والعلم رزق، والزوجة الصالحة رزق والذرية الطيبة رزق، وحب الناس لك رزق وراحة البال رزق، والأمن والأمان رزق وبر الوالدين رزق، والحب رزق والعمل في الأوطان رزق، والأخلاق أجمل رزق وكثيراً من الأرزق أكرمنا الله بها، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها.

وأما تقسيم الأرزاق بين الناس فلا علاقة له بالدين ولا النسب والحسب، ولا بالعقل ولا بالذكاء ولا بالوجاهة والمكانة ولا بالطاعة والعصيان، وإنما الله سبحانه وتعالى يوزع الأرزاق لحكمة يعلمها هو قال تعالى:

(نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا)

فمن الناس من يزيد الله له في المال ويأخذ منه الصحة، ومنهم من يزيد له في الأولاد ويأخذ منه الزوجة الصالحة، ومنهم من يزيد له في العلم ويأخذ منه الأولاد، وهكذا فهو يقسم كيفما يشاء ورحمته وسعت كل شيء.

فيجب عليك الرضا بما قسمه الله لك، فإذا تركت نفسك تنظر إلى مَن منَّ الله عليهم من فضله وقارنت نفسك بهم كنت من الخاسرين وعشت في نكد وغم، فإذا كنت حافي القدمين فانظر إلى من بترت ساقه.

وإذا كنت تشعر بفقرٍ فغيرك مثقل بالديون.

وإن شعرت بقلة المال فغيرك فقد الصحة وابتلى بالمرض، فالرضا بقضاء الله وقدره في كل أمورك يجلب لك الطمأنينة والعيش في هدوء.

ولو يعلم العبد أن الرزق يطلبه أكثر مما يطلبه أجله لارتاح من هم الرزق والقلق على المستقبل، فكثيرٌ من الناس يلهثون وراء الرزق، يجري ويترك عبادته ويكون همه الأول والآخر الرزق.

وإنني أتعجب لمن يكون سببًا في ترك شخص عمله، فماذا يستفيد من ذلك؟ لن يزيد من رزقه ولن ينقص من رزق أخيه الذي تسبب في قطع عمله، وليعلم كل إنسان أن لا أحد يرزقك غير الله وإنما هم أسباب يرزقك الله بهم ويمنعك الله بسببهم، ولو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك.

فإن ظلمك شخص في تركك عملاً أو تسبب في ذلك فإنما هو سبب جعله الله في طريقك ليعوضك خيراً منه وله حكمة في ذلك، ومن تسبب في ذلك

فحسابه على الله لا تشغل بالك به كثيراً يكفيك الشكوى إلى الله وهو حسبك وهو القاهر فوق عباده وهو اللطيف الخبير.

فقضية الرزق كلها تقوى الله والتوكل عليه مع الأخذ بالأسباب، بأن تسعى وتضرب في الأرض مع شرط أن ترضى بهذا الرزق لأنه يعلم ما يصلحك، فمن عباد الله من جعل الله له الفقر دواءً فإن أغناه لفسد حاله.

ومن عباد الله من جعل الله له الغنى دواءً فإن أفقره لفسد حاله، فالرزق موضوع كبير جداً وخلاصته هي التقوى والتوكل على الله، والأخذ بالأسباب وعدم تمني ما فضل الله به بعضكم على بعض، والرضا بما قسمه الله لك والشكر على ما أعطاك حتى يزيدك من فضله

.

* * *

الذين لا يعقلون

أتعجب كثيراً لطبيعتنا البشرية الغريبة التي أتوقف مذهولاً أمامها وأمام تصرفاتها الغريبة، فمنذ بداية الخلق والله يرسل لنا دلالات وعلامات كيف فعل بالخلائق السابقين، فقص علينا في القرآن بعض ما حدث مع الأمم السابقة لكي نتدبر ونعلم ونتعظ من ذلك، فقص لنا عن أول جريمة على وجه الأرض والتي كانت بسبب الحقد بين هابيل وقابيل أبناء أبينا آدم عليه السلام، ومن ثم كيف تتطورت أخلاق بني آدم إلى أن وصلنا لما نحن عليه الآن والله أعلم بما سنصل له حتى قيام الساعة،

وكيف أصبح منّا الكثير الذي لا يعقل ولا يفهم وتمر أمامه الأحداث ولا يتعظ، وإن كان كل ذلك من الجبلة التي فطرت عليها النفس البشرية ومن طبيعة الإنسان التي هى مأخوذه من طبع النسيان فنفعل الذنب الذي تبنا منه بالأمس والذي بسببه حرمنا الرزق وراحة البال نعود له وكأن شيئًا لم يكن.

وواضح أن أغلب النفوس البشرية بهذه الطريقة إلا من رحم الله، وهذا نراه جدياً في الحكومات والحكام فأغلبهم لا يتعظ ولا يسمع لما يقال له، تراهم يقعون في نفس الشئ الذي وقع فيه من قبلهم، يظلمون ويبطشون في الأرض ويقفون يبتسمون ويقولون من أشد منّا قوة، متناسين أن الله أهلك من أشد منهم قوة وأكثر بائساً، أهلك عادًا وفرعون وغيرهم أهلك من كانوا

ينحتون الجبال بيوتاً وأهلك من كانوا يرهبون الناس ليل نهار، وأذل الله كثيراً منهم بالسجون والأمراض وعجل بهلاك أكثرهم عندما زاد البطش، فأهلك الله الحجاج بن يوسف وخسف بقارون وغيرهم وغيرهم، ولله در بن الخطاب حين قال: أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، ومروءته خلقه.

والعقل هو أصل الدين، وهو الذي ميز بني آدم وهو الذي يفرق بين الحق والباطل، واختلف العلماء أين محل العقل والراجح عندهم أنه في القلب، قال الله تعالى: (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها)

وقال بعض العلماء :ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة، وركب البهائم من شهوة بلا عقل، وركب ابن آدم من كليهما؛ فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله فهو أشر من البهائم.

فلكل إنسان عقل، فمن عمل عقله وقرأ التاريخ من بداية الخلق واتعظ منه نجى وعرف أن الله هو الباقي وهو القوي المتعال.

ومن اغتر بماله ومنصبه وقوته خسر كما خسر السابقون، فنصيحتي لي ولك بأن ننظر لمن سبقونا في العصور القديمة أو العصور الحديثة ممن تجمعوا حول المال فكان همهم الأول وممن اغتروا بشبابهم وقوتهم وسلطانهم فكانت عاقبتهم الخسف، كن من العاقلين وادع الله ألا يغرك بالدنيا فهي حلوة خضراء لمن لم يعرف حقيقتها، وأفق من غفلتك قبل فوات الأوان واستعد ليوم الرحيل.

* * *

رفع الستار عن اللحى والنقاب

كثيرًا ما نسمع عن ملتحٍ فعل شيئًا مخلاً بالآداب أوترى منتقبة تفاجأت بالذهول من فعلها وتصرفاتها وعندما نرى هذه الأفعال نغضب ونثور وأول ما نفعله هو أن نعمم على الجميع وهذا أكبر خطأ لأنك بذلك ظلمت ملتحياً ملتزماً أومنتقبة ملتزمة.

وهنا أحببت أن أتكلم من وجهة نظري الشخصية، فالبداية هي أن الكثير من الناس يعتبر الملتحي والمنتقبة قدوة، لا يجب أن يخطئوا ولو أخطأوا لشنت عليهم حرب شرسة من الجميع بل أصبح التعميم على كل ملتحٍ وكل منتقبة هو النهج المتبع.

ولكن الحقيقة هو أن الملتحي بشر يصيب ويخطئ له هفوات وسقطات والمنتقبة كذلك لأنهم ببساطة مصنفون من ضمن البشر ليسوا ملائكة يمشون على الأرض، فإذا أخطأ الملتحي ليس له وزران إنما مثله مثل الحليق عندما يخطئ ولكن الفكر المتبع بين الناس أن الملتحي والمنتقبة لا تخطئ مثل الناس العادية ولو أخطأوا يعمم على الباقي فيصبح كل ملتحٍ سيء السمعة وتصبح كل منتقبة مشمئزة في المجتمع، وأنا معك بأن ليست كل الأخطاء مقبولة ولكن يجب عليك أن تعرف الملتزم حقًا من مدعي الالتزام.

الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يخطئون والسيرة مسجل بها ذلك وهم الصحابة الذين عاشوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم وتعلموا منه الدين بل كانت الآيات تتلى عليهم عند النزول ومع ذلك كانوا يخطئون ويستغفرون فمن يكون الملتحي حتى لا يخطئ ومن تكون المنتقبة حتى لا تتعرض للحظات ضعف؟.

يا أخي الكريم إنما القدوة هو رسولك الكريم فقد كان ذا لحية فعندما تعترض على اللحى أو على تربيتها فأنت تعترض على سنة من سنن النبي وهدي من هديه فلا تجعل كل ملتحٍ قدوة لك ولكن اجعل الرسول هو قدوتك ولا تقارن بين الملتحين ولا تعمم فليس الملتحي نبياً مرسلاً ولا ملكاً منزلاً، إنما هو بشر يصيب ويخطئ قد يتعرض إلى انتكاسة ووساوس الشيطان ويتعرض للضعف وغير ذلك من سقطات الحياة، ولا تفرح بذنب أخيك فيرحمه الله ويبتليك ولا تحتقر مذنب بذنبه فلا تدري على أي شيء يختم لكما؟، فلا تجعل للشيطان عليك مدخلاً من هذا الباب بأن يوهمك بأن كل الملتزمين مخطئون ويرتكبون الآثام الكبرى ويأمركِ أنت أيضًا بأن الملابس الضيقة ليس لها علاقة بالأخلاق وأن هناك منتقبات يفعلن أشياء مشينة كل هذا من مداخل الشيطان فاحذر منه.

فاجعل قدوتك الرسول واتبع نهجه ومنهجه واعتبر أن كل ملتحٍ مثلك في كل شيء لا تعتبره من جنس آخر فهو بشر فماذا لو حلق لحيته ورأيته

يخطئ هل ستشن عليه الهجوم كما فعلت من قبل أم تعتبره شخصاً عادياً مثلك مثله، فنحن جميعًا محاسبون فحتى لا تكون محارباً لسنة من سنن الحبيب.

فإذا رأيت ملتحياً مخطئاً فانصحه بينك وبينه بهدوء وذكره بأنه يحمل سنة من سنن النبي ولا تكون له جلادًا وإذا رأيت منتقبة فذكرها بالله فقد تكون من المغصوبين عليهم في لبس النقاب أ وقد تكون غير مقتنعة به وترتديه لسبب ما، فعامل من أمامك على أنه إنسان ولا تعامله بما يرتدي أو يعتنق واحذر من التعميم فقد تعمم وتسب بشرًا ليس لهم ذنب ويقتصون منك أمام الله يوم القيامة هذا والله أعلى وأعلم.

* * *

كيف تغير عاداتك السيئة

الكل منَا يعاني من عادات ترسخت في عقله الباطن وأصبحت عادات يومية يفعلها باستمرار وروتين، وهذه العادات تؤثر بشكل كبير على حياة كل واحد فينا ونتكلم هنا على العادات السيئة فقط التي تضر الإنسان وتبدل حاله من الأحسن إلي الأسوء ولكي يغيير كل منّا هذه العادات لابد له من اتباع بعض الخطوات

أولاَ: لابد من حصر تلك العادات السيئة التي تعاني منها وتكتبها في ورقة صغيرة كعادات السهر طول الليل والنوم طول النهار والغضب لأتفه الأسباب والعصبية على أقل شئ والحساسية المفرطة والروتين اليومي ككل وغيرها من العادات السيئة

ثانياً : لابد أن يكون لديك رغبة قوية فى التغيير وتأتي هذه الرغبة من عدم ارتياحك لنظام حياتك اليومي فتجاهد نفسك حتى تغيير حياتك للأفضل وتذكر دائما (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

ثالثا: بدل السيئات حسنات بمعنى أدق غير عاداتك السيئة إلى عادات حسنة لو كنت مثلا تشاهد التلفاز 5 ساعات يومية اجعل المشاهدة مثلا 2

ساعة وال 3 ساعات الآخرى تعلم شيئاً مفيداً فيها مثل حفظ القرآن أو الأحاديث أو الرياضة أو القراءة أو الكتابة أو سماع أفلام تسجيلية وغيرها

رابعاً : غير طريقة تفكيرك سيتغير كل شئ تبعاً لها فغير الأفكار السلبية وبدلها بأفكار إيجابية

خامساً: غيير عادة عادة ولا تستعجل وعليك بالصبر ولا ترهق نفسك بل جاهد نفسك على قدر المستطاع ولا تستسلم فى البداية فالنفس تميل إلى الملل والنفور فالبدايات أصعب شئ وبعد ذلك تجد سهولة فى التغيير

سادساً : تكلم عن التغيير للآخرين لأهلك وأصحابك واطلب منهم أن يساعدوك في ذلك

سابعاً : تذكر شهر رمضان وكيف كنت تصوم طول النهار دون تدخين معنى ذلك أنك تسطيع الإقلاع عن التدخين لو جاهدت نفسك واستعنت بالله

ثامناً : تخلص من الأشياء التى تساعدك على الاستمرار في العادات السيئة كأصحاب السوء وأماكن المعصية وأدوات التدخين

تاسعاً: كل العادات السيئة نتيجة لفراغ قاتل فيجب عليك أن تملأ الفراغ الذي تعاني منه بأشياء مفيدة

عاشراً: الدعاء استعن بالله وأكثر من الدعاء

* * *

تصالح مع نفسك

لابد أن نفرق في البداية بين التصالح مع النفس وبين تطوير النفس فالتصالح مع النفس هو الرضا بما قسمه الله لك أما تطوير النفس هو معرفة قدراتك ثم تطويرها للأفضل وحديث اليوم مع التصالح مع النفس، فلكي تحيى حياة طبيعية لابد أن تتصالح مع نفسك، تقبل نفسك وتسامح نفسك على أخطائك السابقة وأن تتعلم من أخطاء الماضي وحاول جاهدًا أن تتجنب هذه الأخطاء في المستقبل.

سامح كل من أساء إليك وفرغ الشحنات السلبية التي بداخلك وابدأ من جديد، حُبك لنفسك يجعلك تهتم بها وتطورها وتكسب مهارات جديدة يجعلك تحاول أن تكون دائمًا في أفضل صورة لا أقصد بحب نفسك أن تكون أنانيًا بل العكس، أقصد به أن تهتم بنفسك وتطورها وتحقق أفضل الإنجازات.

التصالح مع النفس هو الرضا بكل ما كتبه الله لك من رزق وصحة وزوجة وحال، فلابد أن تشكره على كل ذلك وأن تحدث نفسك بأن ما أنا فيه الآن أفضل من غيري بكثير وأن الله اختار لي الأفضل.

حتى تتصالح مع نفسك لابد أن تتقبل الآراء الآخرى وأنه لست أنت وحدك على حق فقد تكون أنت على خطأ وأنت لا تدري فاقبل الطرف الآخر وأعطِ له الفرصة في إبداء الرأي،

عندما تبدأ في التصالح مع نفسك يجب عليك غلق باب الماضي بكل ما فيه لأنه لن يعود أبدًا.

حاول أن تعرف نفسك جيدًا واجه نفسك بالحقائق التي لا أحد يعرفها غيرك واكتشف عيوبك وضع يدك عليها سيكون الحل سهلًا.

اقبل نفسك بكل عيوبها وابدأ في تغييرها إلى الأفضل، غير أفكارك تتغير حياتك، اخرج من صومعتك القديمة وجدد نشاطك واستعن بالله في كل أمورك.

الإيمان والعمل الصالح هما سر حياتك الطيبة، جدد التوبة واهجر المعاصي، طهر قلبك من الحسد والحقد والغش وكل مرض، لا تتوقع زوال النعم وحلول النقم، بل على الله توكل

لست وحدك من أخطأت وارتكبت معاصي فأنت مصنف من ضمن البشر فاترك الماضي بكل ما فيه ولا تقلق على مستقبل بين يدي الله وركز في يومك فقط.

* * *

فلا تخضعن بالقول

الخضوع بالقول ليس فقط بالكلام والحديث والترقيق والتميع في الكلام وإنما الآن أصبح يشمل الكثير والكثير من مداخل الشيطان للرجل والمرأة فالخضوع أصبح في الكتابة والحديث عبر الإنترنت وأصبح أيضًا في الحديث عبر الهاتف، فكم من مكالمة هاتفية أدت إلى تدمير حياة شخص!، وكم من مجرد تعليق عبر الإنترنت أدى إلى تتبع أصحاب القلوب المريضة، فإغلاق الباب من البداية شفاء لكل من تسول له نفسه بالسوء وحمايةً لكِ من مداخل الشيطان.

الخضوع هو ألا تنكسر إحداكن في مخاطبتها الرجال وأن تقول الكلام معتدلاً لا فيه ميل أو اعوجاج أو ترقيق؛ فإن الإنسان خلق ضعيفًا وهناك الكثير من مرضى القلوب فقد تنطق المرأة بكلمات في نظرها عادية ولكن عند أصحاب القلوب المريضة لها معانٍ أخرى، فعندما تحدثين الأجانب عنكِ دون محرم كوني مثل الرجال في الحديث معه، كما قالت إحدى الصالحات: "نحن نساء مع رجالنا رجال مع الرجال" بمعنى أنها مع زوجها تكون أنثى بمعنى الكلمة أما عندما تضطر إلى الحديث مع الغير دون محرم لها فبذلك تكون مثل الرجل في خشونته فى الكلام؛ وذلك لعدم السماح

لأصحاب القلوب المريضة بأخذ فكرة خطأ أو السماح للشيطان بتتبع أفكار أصحاب القلوب المريضة.

الله سبحانه وتعالى خلق النساء في أصواتهن رقة ولين وله الحكمة في ذلك وأمرها في كتابه الكريم بألا تخضعن بالقول فإذا خضعت بالقول زاد اللين في الكلام إلى لينها الطبيعي فيزيد تأثير ذلك على أصحاب القلوب المريضة ومن هنا يأتي سوء الظن وأخذ الأفكار الخاطئة.

وقد أفتى بعض العلماء بأنه إذا المرأة خضعت بالقول لكسب مال أو بيع سلعة أو الحصول على أشياء أخرى فهذا محرم ولا بركة فيه.

وإذا كانت النظرة هي أصل عامة الحوادث بين الرجال والنساء فكيف إذا تطور الوضع من نظرة عابرة إلى كلام رقيق لين، فكم من نظرة أدت بصاحبها إلى الهلاك! فكيف بكلام بصوت رقيق؟.

والحل في ذلك هو السماع إلى ما أنزل الله وعدم الخضوع بالقول وتجنب مواضع الشبهات وعند الحديث مع الغير من الرجال أخذ الحزم والشدة فى القول ولا تفكري بأن هذا يخرجك من دائرة الأنوثة وكونك امرأة، ولكن فكري بأنه يقربك إلى رب العباد وسد الذرائع والغلق على مداخل الشيطان.

* * *

الشماتة

الشماتة هي الفرح والسرور بما يصيب الناس من مصائب ومِحن في الدين والدنيا، والشامت هو قليل المروءة والرجولة غير نظيف القلب يتمنى للناس السوء ولو بحثت بداخله لوجدت في قلبه مرضاً، وكثيرٌ منهم فاشل في حياته يتمنى للناس أن يفشلوا مثله، ويفرح عند وقوع أخيه في نفس ما وقع هو فيه.

لا شك أن الشامت من كبار الجهّال لجهلهِ حقيقة البلاء وجهلهِ حقيقة الدنيا، يعيش بطول الأمل كأن الدنيا تدوم لأحد، ولا يعلم أن الأيام دول وكل يوم ملك الملوك هو في شأن.

من شأنه أن يحيي ويميت ويعز ويذل يرزق قوماً ويمنع عن آخرين، يستجيب دعاء، يهدي ضالاً، يرحم ميتاً، يفك أسيراً يرفع قوماً ويضع آخرين، يَبتلي مذنباً ويعفو عن ما يشاء، يعطي سائلاً، ويفرج مكروباً سبحانه قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه يقلبهم كيفما يشاء له الحكمة في كل شئ وهو يعلم وهم لا يعلمون، هو يعلم ما يصلح عباده من بلاء وعافية من غناء وفقر من مرض وعافية من سفر وترحال من سجنٍ وحرية، يدبر الأمر وليس كمثلهِ شيء وهو السميع البصير.

فقد يشمت الأخ بأخيه وهو لا يعلم أن من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله، (لا تظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك) ولك أن تتخيل أن الشماتة من صفات أعداء الله وأعداء المسلمين قال الله تعالى (إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط)

فلا تفرح بسيئة أخيك وعليك أن تقول عندما ترى غيرك مبتلى (الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً ممن خلق، وفضلني تفضيلاً) فلا يصيبك مثلما أصابه، وحاول أن تضع نفسك مكان المبتلى وتشعر بحاله وتحمد الله على ما أنت فيه بل من الواجب عليك كمسلم أن تقف بجوار أخيك في مِحَنه ويجب عليك إذا رأيت ذنب من أخيك أن تستره وتتوقف عن الكلام ولا تحدث به غيرك فاليوم أنت شاهد وغداً لا تعلم من الممكن أن تكون مكانه، فاتقِ الله فيما تعلم عن أخوانك ولا تشمت بهم فالله هو المحيط وهو العليم، بل إن الشماتة بالتعيير بالذنب أشد من مرتكب الذنب نفسه

يقول ابن القيّم:

(إنَّ تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا مِن ذنبه، وأشدُّ مِن معصيته؛ لما فيه مِن صولة الطَّاعة، وتزكية النَّفس وشكرها)

وأعلم أن الشماتة تؤدي إلي العداوة والكره والحقد بين الناس وتزيد من قسوة قلوب الناس بعضهم البعض فشتان بين من يقف بجوارك في مصيبتك وبين من يقف فرحاً مسروراً من وقوعك في المصيبة، فالقلوب السليمة لا تنسى الفضل من أهل الفضل ولا تنسى من أساء وفرح فيها عند وقوع المقدور، فاحذر من أن تربي عداوات أنت في غنى عنها والتمس العذر لأخيك المسلم فكلنا ذوو خطأ ومجبلون على المعصية فاجعل قلبك نقياً نظيفاً لا يحمل لأحد حقداً ولا كرهاً تمنى الخير للجميع وساعد الجميع، وقف بجوار أخيك في محنه حتى يخرجه الله مما هو فيه.

* * *

الوهم

أخبرني صديق لي بأنه كان قادمًا على مبارزة شخص يُعرف بالقوة وأن هذا الشخص ما بارز أحدًا قبل ذلك إلا وفاز عليه، فكان صديقي منتظراً دوره خائفًا وجلا يترقب في رعب مما سيفعل به بعد هذه المبارزة من استهزاء وسخرية معتقدًا أنه خاسر لا محالة، ثم جاء دوره وكانت النتيجة غير متوقعة فقد فاز فوزًا مستحقًا على هذا النمر الورقي غير مصدق قدرته الكبيرة التي لم يعلمها عن نفسه، والشاهد في هذه الواقعة هو أنك تبني وهمًا بداخلك لشيء ما تخشاه ويكبر الوهم بداخلك لتكتشف في النهاية أن ما تخشاه أهون مما كنت تتوقع فكان الوهم نتيجة طبيعية للخوف،

الوهم أخو الجهل كلاهما حكم بدون معرفة أو علم، الوهم يُصغر الكبيرة ويُعظم الصغيرة ومن ثم الحكم الخطأ على الواقع فتكون العواقب وخيمة، فقد يكون هناك تدين وهمي مغشوش من قبل شخص أو فتاة فتكون نتائجه عكسية عليهم وعلى المجتمع، فالتدين المغشوش أصبح منتشراً بطريقة غريبة وفي الحقيقة المدعي ذلك هو من يضحك على نفسه أولاً ويعيش الدور المزيف فيكون هو أكبر الخاسرين كمن ينصب نفسه من أولياء الله وضمن لنفسه الجنة وينظر في ذنوب الناس كأنه ربُّ.

الوهم هو أن تعيش حالة من الكذب على نفسك، وتصدق نفسك ويقتنع الآخرون بأنك فعلاً كما تقول وأنت وحدك من يعلم كذبك، أن تصدق أنك خارق وأن أمثالك قليلون في الحياة، وأن البشرية ستفقدك عندما يتخلون عنك، أن تعيشي في غرور بأن كل من يتقدمون لخطبتك لا يستحقون جمالك وجاذبيتك، الوهم هو أنك تعتقد أن بنات الكون لم توجد بينهن من تستحقك وتعيش في خيالك المريض بأنك الوسيم الجذاب الذي يمتلك الصفات الحسنة التي لا توجد هذه الأيام وأن مثلك لا بد له من جوهرة لا توجد على هذه الأرض القبيحة

أن تنام طول النهار والليل ظنّاً أن الله سيرزقك، وأن تتوهم أنك عندما تُفصل من عملك بأنك تموت جوعًا أنت وأبناؤك كمن قال الناس من خوف الفقر في فقر ومن خوف الذل في ذل، أن تعيش مخدوعاً ومذلولاً ليس لشيء إلا أنك تحمل في داخلك أفكاراً مريضة بُنيت على أساس خطأ فكانت النتيجة التعب المستمر طوال حياتك

أن تنخدع بصاحبة صفحة على مواقع التواصل أو تنخدعي بصفحة شخص آخر متخيلًا أن الصورة والمنشور يخبئ خلفه شخصية متدينة فتظن أنه الفتى المنتظر وأنه فريد عصره وزمانه، فكم من ذئاب لهم أدوات لاصطياد فرائسهم عن طريق الخدع البصرية من كلمات معسولة ووجه يحمل خلفه أساطير الكذب والخداع

الوهم أن تعيش بظن الناس بمعنى أنك تتخيل أن الناس يفكرون فيك بطريقة ما وتتعامل في حياتك بهذا الأسلوب وكأنهم هم الذين يحددون تصرفاتك وأفعالك وبناء عليهم تتخذ قراراتك فهم يعيشون في نفوس الناس أكثر من العيش مع أنفسهم

ومن عجائب الوهم أنه يقنعك بأن من يملك المال يملك السعادة والقوة وأن من يحصل على زوجة جميلة لن ينظر إلى باقي نساء العالم وأن من يمتلك العقارات والأراضي وغيرها يعيش في حياته مطمئناً لتقلبات الزمان، وأن النصر في الحروب لمن يمتلك العدة والعدد الأكثر في صفوف الجيش فكان رد القرآن عليهم (إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين)

وما أغرب الواهمين في أنفسهم وما يملكون والمغالون فيما رزقهم الله من فضله فبدلاً من أن ينسبوا الفضل لله على ما آتاهم يقفون يندبون ويهتفون نحن ونحن فهم في الحقيقة مخدوعون ويكذبون على أنفسهم ويكتشفون كذبهم عند أول نومة في فراش المرض

في هذه الحياة لا بد من معرفة قيمة نفسك الحقيقية لا تغل ولا تقلل من شأن نفسك، ولا تتكبر، ولا تنسب فضلاً رزقك الله إياه لنفسك، اعرف حجمك الطبيعي واترك الوهم وعش الواقع حتى لا تكن عبرة للتاريخ.

* * *

قبل الانتكاسة

الكثير من الناس من يكرمه الله بالالتزام والدخول في طريق العبادات وما يلبس إلا قليلًا ويعاود الرجوع إلى ما كان عليه بل قد يزيد عما كان عليه في الأول، سواء أكان هذا من المشاهير أو من العامة، أو قد يكون ملتزمًا ثم يتفاجأ الناس بانتكاسته ولا يعلمون أن ذنوب الخلوات هي أصل كل الانتكاسات وأن عبادات الخفاء هي أعظم أسباب الثبات.

وأتذكر يومًا كنت أسمع برنامجاً تليفزيونياً للشيخ محمد جبريل والشيخ محمد هداية حفظهما الله، ووجدت اتصالاً تليفونياً من شخص يشتكي الخوف من الرجوع إلى المعصية الكبرى التي كان يرتكبها وتاب الله عليه منها، ومما شدني ناحية هذا الشخص أنه بكى في الهاتف من كثرة ما هو خائف أن يعود إلى الذنب لجرم وكبيرة الذنب، وقد تفضل الإخوة بالإجابة عليه ولكنهم أغفلوا عن ذكر شيء يعين هذا الشخص عن ترك هذا الذنب، ألا وهو ترك المكان.

لأن هناك ذنوباً لا تترك إلا بالإقلاع والبعد عن مكان المعصية نتيجة لارتباط ذنب هذا الشخص بالناس المحيطين بالمكان، وهذا مصداقٌ لحديث الرجل الذي قتل مائة شخص وذهب إلى عالم ونصحه بترك أرض السوء، فالمكان

له دور كبير بالرجوع إلى المعصية من عدمه، وإقلاع الذنب من القلب يحتاج إلى استعانة بالله وجهد كبير، خاصة إذا كان الذنب كبيرة من الكبائر ومصيبة تدمر صاحبها إذا لم يتب إلى الله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّةَ: "فإن العبد إنما يعود إلى الذَّنب لبقايا في نفسه، فمَن خرج مِن قلبه الشهة والشهوة، لم يعد إلى الذنب".

العبرة كلها بالقلب لو أصلحت القلب لانصلح كل حالك وثبتك الله، ولذلك قال الله تعالى: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}، ومن أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فمهما كان عملك لا تغتر وأدع دائمًا بالثبات والموت على الحق.

ومن الأشياء التي تعينك على الثبات على طاعة الله حتى تلقاه:

أولًا: الدعاء بالثبات كثيرًا في كل وقت لأن الأمر ليس بيدك.

ثانيًا: المحافظة على الصلوات في أوقاتها وليس تأخيرها، ثم بعد ذلك الأذكار اليومية المعروفة مثل أذكار الصباح والمساء وغيرها، فهي حصن حصين وأشد على الشيطان من سد يأجوج ومأجوج، وكثرة الاستغفار والحوقلة والحسبنة.

ثالثًا: الصحبة الصالحة هي القوة التي تعينك على القرب إلى الله، خاصة إذا كانت الصحبة في الله ليس لغرض آخر. وتذكر أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه وأن يوم القيامة جميع الأصدقاء أعداء إلا المتقين، فاختر لنفسك أصدقاء متقين الله يكونوا عونًا لك على القرب لله والنصح وقت الفتور، والصديق الصالح باختصار هو من يدلك على الخير ويحجزك عن الشر.

رابعًا: الورد اليومي من القرآن سواء كان ورد حفظ أو ورد تدبر وتلاوة، فقليل دائم خيرٌ من كثير منقطع.

خامسًا: العلم، احرص على التعلم فإن ذنب المسلم جهلًا منه ولو علمت ما عقوبة ذنبك ما فعلته ولو استحضرت عظمة الله في قلبك لخشيته واستحييت منه.

فالزم العلماء واحرص على دروس العلم سواء بالمساجد أو عبر الوسائل المسموعة، ولا تنسَ الكتاب فهو أنيسك ودليلك إلى الله ولكن اختر من الكتب ما ينفعك.

سادسًا: أن تكون منتجاً لدينك احرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقديم المساعدة والخير للناس، كن في صحبة الصالحين لا يستطيع الشيطان أن يقترب من الجماعة.

أخيرًا أدعوك مهما كان ذنبك بالرجوع إلى الله، فمهما كان الذنب يقبلك الله، ومهما فعلت ركعة واحدة تجب كل ذنوبك ويغفر الله لك بها، لا تجعل للشيطان عليك سبيلًا وتيأس من رحمة الله فرحمته وسعة كل شيء، فمها فعلت فتب إليه واستغفره وأكثر دائمًا من دعاء "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"، ثبتنا الله وإياكم على دينه حتى نلقاه وهو راضٍ عنّا.

* * *

القراءة فرض

عندما يخرج علينا بعض أنصاف الرجال يطعنون في رموز الإسلام والصحابة ويتهمونهم اتهامات خطيرة ليجلب حوله بعض الشهرة أو بعض الثناء من أصحاب القلوب المريضة لا أحزن إلا على أنفسنا ونحن واقفون مكتوفي الأيدي نشاهد في صمت وكأننا مغلوبون على أمرنا لا نستطيع أن نفعل شيئاً ولكن الحقيقة نحن مقصرون جداً كشباب مسلم نشاهد من يسبون رموز الإسلام ونحن لا نحرك ساكناً، بل يجب علينا الرد عن بصيرة مقنعة من الكتاب والسنة والتاريخ المؤكد الصحيح، ونصد هؤلاء المرضى ونبين للناس الحق عن علم وعن بصيرة صحيحة

كيف نصد ونحن أمة لا تقرأ؟، وهو أول أمر، أمر به الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما نزل عليه سيدنا جبريل عليه السلام فقال له اقرأ وهنا اقرأ فعل أمر، القراءة هي الشيء الوحيد الذي يجعلك غير مضحوك عليك من أي شخص، تجعلك على وعي بما يقول فتغلب حجتك حجته دون عصبية أو تحيز، فقط من الكتاب والسنة كل ذلك لا تستطيع فعله إلا عندما تكون قارئاً جيداً ومستعداً للهجوم من كل مريض نفسي يريد الشهرة أو أي غرض آخر على حساب التشويه في رموز الإسلام،

قال أحد الفلاسفة: لا تقرأ فقط لتجادل وتناقش ولا لتؤمن أو لتجد ما تحكم به بل لكي تزن الأمور وتميزها.

أسمع كثيراً من أصدقائي يتحولون ويتشككون في عقائدهم وهوياتهم ويبدأ الشك يدخل في قلوبهم بمجرد سماع بعض الملحدين وبعض المرتدين أو حتى بعض العلمانيين الذين يريدون شهرة عن طريق التشويه لرموز الإسلام ولكن أتعجب منهم وأعذرهم؛ لأنهم ببساطة لم يحاولوا حتى التأكد من المسموع لا يريدون أن يتعبوا في البحث والتأكد بأنفسهم كل هذا لأنهم لا يقرؤون وللأسف هم محاسبون ليس فقط على سوء ظنهم ولكن على تقصيرهم في البحث عن العلم

فضلاً على أن خير جليس في الزمان كتاب وأن القراءة تغذي العقل والقلب وتقوي الفكر والتأمل وتزيد على التركيز والتوقع وتزيد الفصاحة والنباهة كل ذلك وأكثر من فوائد القراءة فالعقل في حد ذاته ينمو بكثرة القراءة وعندما تواجهك مشكلة القراءة تجعلك تميز وتتبين من المشاكل التي أمامك لكي تعرف تحلها بسهولة.

ورحم الله العقاد حينما قال أنا أقرأ لأني لديَّ حياة واحدة وحياة واحدة لا تكفيني والقراءة دون غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة، وبالقراءة وحدها تستطيع أن تعرف عادات الناس في الشرق والغرب وتجاور تاجر الهند

وحكيم الصين وفيلسوف اليونان وروائي القاهرة، وطبيب لندن، ومفتي السعودية، يكفيك أن تفقه عادات القوم الآخرين دون أن تنتقل من مكانك

هل تذكر قصة سيدنا زيد بن ثبات الذي أمره الرسول صل الله عليه وسلم بتعلم لغة اليهود فتعلمها في خمسة عشر يوماً هل تخيلت أن إنساناً عادياً من البشر يتعلم لغة قوم في مدة أسبوعين فقط هل سألت نفسك كيف فعل ذلك، كل الحكاية أنه حمل هم أمة فكانت هذه النتيجة، وأنت تستطيع فعل أكثر من ذلك إذا حملت هم الأمة

وأرى كثيراً من الشباب يملون القراءة سريعاً ولا يقرؤون إلا القشور فتجد عقولهم خالية من العلم والنضج والنصح وتجدهم مهزومين أمام المجندين لتشويه الإسلام قليلي العزم ضعيفي الحجة رافعاً رايته البيضاء سريعاً فكيف يستطيع هذا الشاب الذي يمل القراءة أن يصل إلى درجة من القراءة الممتعة، وذلك فقط عن طريق حمل هم أمة الإسلام وعلمه أن العلم بالتعلم والحلم بالتحلم وأن العلم طريق سهلٌ للوصول إلى الجنة فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وكفى بالله عدلاً وكفى به ولياً

كان الشافعي رحمه الله يختم القرآن مرتين في اليوم مرةً بالنهار ومرةً بالليل، هل تخيلت كيف كان يفعل ذلك.

في كم يومٍ تختم أنت القرآن، الأمر الآن أصبح إجبارياً إذا كنت مسلماً حقاً تريد نصرة الدين وتريد التصدي لمن يعادي المسلمين ويشوه صورة الإسلام.

لابد من الاستعداد الصحيح على بصيرة لابد أن ترجع إلى كتاب الله أولاً وتتدبر معانيه وتفهمه جيداً ثم تخوض في حفظه ثم تبدأ بالسنة النبوية ثم التفقه في الدين بصفه عامة وفي التاريخ الإسلامي وغيره حتى تكون مستعداً جيداً، واعلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأن الله يسهل طريق الجنة لمن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً،

* * *

عاملني كإنسان

أصبحنا نعيش في عصر العنصرية، نفرق الناس على الجنسية وعلى الديانة وعلى اللون، وعلى المال وعلى المؤهل العلمي، وتناسينا جميعاً أن الأكرم عند الله هو الأتقى، تناسيناً أننا نقف جميعاً أمام الله بأعمالنا، لا فرق بين أعجمي وعربي، ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى، كلنا لآدم وآدم من تراب.

لقد جاء الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، للناس جميعًا، يحمل ديناً يساوي بين الجميع، لا يفرق بين أي شخص إلا بالتقوى، آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة من مكة إلى المدينة، كان بين أصحابه بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي، جاء الإسلام ليخلص الناس من العبودية التي كانت تحكم قبله.

وحدثنا القرآن بأن لنا ديناً، وللآخر دين، علمنا أن الدين المعاملة والعمل والتطبيق وعرفنا نبينا أن امرأة دخلت الجنة في سقيا كلب، وأن امرأة دخلت النار في حبس هرة، قال لنا: من أذى ذمياً فأنا خصمه.

كثيراً ما نجد سوء المعاملة في هذه الأيام بمجرد أنه يختلف معي، يختلف معي في الرأي، يختلف معي في الجنسية، يختلف معي في العلم، يختلف معي في أي شيء، بالرغم أن ما نملكه جميعاً هو هبة من الله قادر سبحانه أن يأخذه منك، قادر أن يجعل نسبك المتفاخر أنت به أسوأ نسب، قادر أن يجعل جنسيتك التي تتكابر بها تتخلى عنها، قادر سبحانه أن يجعل علمك الذي تتظاهر به نقمة عليك، فلماذا الكبر؟

لماذا التعالي على الناس؟

لماذا سوء المعاملة مع من أقل منك؟!

الشخص الذي تهينه أو تسيء معاملتة قد يكون عند الله أفضل منك، وقد يختم الله له بحسن الخاتمة، وأنت بسوء الخاتمة، كان الإمام مالك رحمه الله يقول:

"ما رأيت مسلماً إلا وظننت أنه خيرٌ منيَ".

لماذا الأنانية تسيطر على قلوب الكثير منّا؟ والتفكير في أنا ومن بعدي الطوفان هو شعار البعض؟

أيها المتعصبون لجنسياتكم وأموالكم وأنسابكم وعِلمكُم، لقد مزقتكم قلوب الكثير من البشر بسوء معاملتكم، لقد أسأتم إلى ما تحملون من ألقاب وشهادات، ألم تعرفوا أنكم سفراء دينكم.

كم من أناس دخلوا الإسلام بحسن المعاملة، وكم هم المتنافرون بسوء المعاملة، كونوا سفراء مناصبكم وسفراء عائلتكم، عاملوا الناس بما تحبون أن يعاملوكم عاملوا الناس بالأخلاق الحميدة، عاملوا الناس بأخلاق العظماء، عاملوا الناس بأخلاقكم لا بأخلاقهم.

إننا نقف جميعًا بين يدي الله يوم القيامة لا يفرق بيننا جميعاً إلا أعمالنا، كل واحد على حسب عمله، لا يوجد في هذا المقام جنسية ولا لون ولا أي شيء من أمور الدنيا إلا عملك فيها.

فأحسن عملك في الدنيا واتق الله في معاملتك مع البشر واترك أثرًا طيبًا في كل مكان، وخيرٌ لك أن يترحم عليك بعد موتك من أن تُذكر بالسوء فأحسن ذكرك.

* * *

مقدمات ونتائج

أنت اليوم حيث أوصلتك أفكارك وستكون غداً حيث تأخذك أفكارك، لا شيء جديد كلها مقدمات ونتائج، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، والجزاء من جنس العمل فمن عمل خيراً وجد خيراً ومن عمل سوءًا وجد سوءًا ولا يظلم ربك أحداً،علمونا قديما في الفلسفة بأن كل شيء في الحياة له مقدمات ونتائج إذا ذاكرت سوف تنجح، إذا عصيت الله دون توبة ستكون النار مصيرك، إذا أكلت الحرام فكل ما نبت من حرام فالنار أولى به ويظهر ذلك على ذريتك وأحفادك، وإذا استمررت في الكذب كُتبت عند الله كذاباً وكنت من المنافقين وهكذا

وعلمونا في علم البرمجة الجمل الشرطية مثل If Then Else بمعنى إذا فعلت الشرط تحقق النتيجة التالية وإلا تكون النتيجة التي تليها أو إنهاء الجملة الشرطية وهكذا، وعلمونا علماء الدين بأن حسن الخاتمة تأتي من عملك في الدنيا إذا كان عملك صالحاً ختم لك بحسن الخاتمة وسهل عليك نطق الشهادتين وإذا كان العكس كانت خاتمة سوء والعياذ بالله

فالشاب الذي يعيش حياته قبل الزواج بين الحب الحرام والانفلات مع البنات لا يستطيع أن يسعد بحياته كاملة بعد الزواج غير الذي حافظ على

نفسه قبل الزواج وحافظ على قلبه خالياً من أي شوائب وهكذا في أمور كثيرة

وخاطب الله سبحانه وتعالى السيدة مريم رضي الله عنها في كتابه الكريم (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) الشرط أن تهز النخلة حتى تكون النتيجة تساقط الرطب، فهنا اشترط السعي ثم النتيجة الرزق وقس على ذلك في جميع أمور الرزق المقدمات تكون السعي والضرب في الأرض ثم تكون النتيجة الرزق

بعض الناس تنام تحلم بالنجاح والآخر يستيقظ باكراً لتحقيقه فإذا استيقظت مبكراً وبذلت مجهوداً في علمً أو دراسة أو وظيفة أو أي شئ له نفعٌ في الحياة الدنيا أو الآخرة ستكون مقدمة لنتيجة نجاحك في الدارين والله سبحانه يضاعف الحسنات إلى عشرة أضعاف أو ما يشاء والسيئة عنده بسيئة ولا يظلم ربك أحداً فلا تجد في كتابك في الآخرة غير ما قدمت في الدنيا،

والخلاصة أن أقل مجهود مقدم من أي نفع يعود عليك بنتائج عظيمة فلا شيء إذن غير ما تقدمه لنقسك من خير تجده عند الله ويجزيك بأحسن منه في الدارين

* * *

مآربُ أُخرَى

عصا نبي الله موسى عليه السلام إحدى معجزاته حيث قلبت حية عظيمة وضُرب بها فانفجرت عيونًا من الماء وضربَ بها البحر فانفلق، قال الله تعالى (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى، قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى، قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى، قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى)

ومعنى أهش بها على غنمي أي أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها وترعاه غنمي، فللعصا فوائد جمة، وهذه الحال لكثير من الأشياء التي خلقها الله لنا مع تفاوت الاستخدام من شخص لآخر.

أما عصا سيدنا سليمان عليه السلام كانت تسمى منسأته وقد بين ذلك في القرآن الكريم (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) قال ابن عباس رضي الله عنه (إلا دابة الأرض تأكل منسأته) أي الأرضة تأكل عصاه، وهذا مما يدل على أن سيدنا سليمان كان لا يترك العصا من يده، المنسأة هنا بمعنى العصا بلسان أهل الحبشة واليمن وغيرهم

فإمساك العصا سُنة من سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهي من علامات المؤمن، فقد ذكر الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره عن تعرض قوم لفوائد العصا فذكر منهم ابن عباس رضي الله عنه، فقال، إذا انتهيت إلى رأس بئر فقصر الرشا وصلته بالعصا، وإذا أصابني حر الشمس غرزتها في الأرض وألقيت عليها ما يظلني، وإذا خفت شيئًا من هوام الأرض قتلته بها، وإذا مشيت ألقيتها على عاتقي وعلقت عليها القوس والكنانة والمخلاة، وأقاتل بها السباع عن الغنم

لقي الحجاج أعربيًا فقال:

من أين أقبلت يا أعرابي؟

قال من البادية

قال وما في يدك؟

قال هي عصاي: أركزها لصلاتي، وأعدها لعداتي، وأسوق بها دابتي، وأقوي بها على سفري، وأعتمد بها في مشيتي لتتسع خطوتي، وأثب بها النهر، وتؤمنني من العثر، وألقي عليها كسائي فيقيني الحر، ويدفئني من القر، وتدني إلي ما بعد مني، وهي محمل سفرتي، وعلاقة إداوتي، أعصي بها عند الضراب، وأقرع بها الأبواب، وأتقي بها عقور الكلاب، وتنوب عن الرمح في

الطعان، وعن السيف عند منازلة الأقران، ورثتها عن أبي، وأورثها بعدي ابني، وأهش بها على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى، كثيرة لا تحصى.

فكانت العصا بمثابة الثوب والأثاث والشيء الذي لا يستطيعون أن يتخلوا عنه وهي مثل العادة فمن فقدها يومًا كمن فقد حاجة مهمه لا يتزن جسده بفقدها وكانت مهمة لهم مثل الجوال الآن لنا وإن كان الفرق بينهم كبيراً.

ولكن الجوال بخلاف ما يفعل به الآن فهو لبعض الناس لا يستغنى عنه وله فوائد جمة مع كثرة التطبيقات المفيدة التي فيه ناهيك عن إنقاذ حياة إنسان ولكن بعضنا استخدمه بطريقة خاطئة هذه الأيام إلا من رحم الله، كالسكين له منافع ومضار على حسب استخدام الشخص له.

وأيضا العصا قد تقتل بها شخصاً بل تستخدم في العصابات الكبيرة حتى الآن وكانوا يستخدمونها فتوات الحواري قديماً ويستخدمونها في النزاعات العائلية في الصعيد حتى الآن إلا أن السلاح أصبح مع بعض الناس الآن مثل علب السجائر

وكان قديمًا في المدارس المصرية تستخدم العصا لردع الطلاب عن الخطأ ولكن كانت القلوب أكثر رحمة فكان وجودها مع المعلم ردعاً كافياً دون الخوض في الضرب المبرح الذي نراه الآن من بعض المعلمين قساة القلب.

فأنشأت العصا أجيالاً كثيرة تحترم معلميها وأساتذتها وكانت العصا سلاحاً قوياً لحفظ كرامة المعلم ناهيك عن الشخصية التي فقدناها الآن مع بعض المعلمين وتطاول بعض الطلاب عليهم مما فقد معه كرامة المعلم هذا مع تدهور أخلاق الطلاب بشكل عام

ومما لا شك كانت العصا مع الشيخ في حلقات القرآن بمثابة تذكير للطالب بالحفظ، فكان كل كَتاتيب القرى لا تخلو من العصا وساعد ذلك في الإتقان لحفظ كتاب الله، وللعصا فوائد جمة لا تحصى يكفي أنها سنة من سنن الأنبياء، فأحيوا سنة الأنبياء في العصا واستخدموها في النفع لا في الضرر

* * *

كيف تقلع عن التدخين؟

ليس كلاماً أكتبه على ورق كي أشد انتباهك لمقالٍ، ولكني حريص على أن تلقى الله ورائحتك طيبة..

حريصٌ على ألا تهدر صحتك وأموالك في هواءٍ عفن..

حريصٌ على ألا تؤذي أهلك وأولادك من دخانك المؤكسد..

حريصٌ على ألا تنفر منك الملائكة وتبغضك، وألا ينفر منك الناس من رائحة فمك الكريهة، هل جربت هذا الشعور؟

بالتأكيد نعم ولكنك لا تبالي، إذا كنت لا تبالي بنفور الملائكة فهل تبالي بنفور الناس، أنت الآن تفعل كبيرة من الكبائر، وفي خطر كبير لو لقيت الله على ذلك، اعتيادك على فعل الذنوب جعلك تشعر بأنك لا تفعل شيئاً حراماً، أنت تعلم ومتأكد بأن التدخين حرام؛ لأنه من الخبائث ولأنه يضر مالك وصحتك وأولادك.

ولأنه يدمر أحشاءك التي أمّنك الله عليها ولأنك بعد الانتهاء منها تدهسها بحذائك! هل رأيت نعمة من قبل تدهسها بحذائك؟! الذي يدهس بالحذاء

هي النقم، ولكنك تكابر وتضع لنفسك الأعذار والحجج الفارغة وشركات التبغ تستهزئ بك وتضع لك على كل علبة بأن التدخين يدمر الصحة ويسبب الوفاء.

أي استهزاء أكثر من ذلك ومع ذلك تُصر على تناولها وتدعي بأنك غير قادر عن الإقلاع، وأنت أيضًا تعلم أن كثيراً قبلك ترك التدخين ولم يعد له مرة أخرى كانوا صادقين مع الله ومع أنفسهم فأعانهم الله، بخلاف من تركها شهراً أو شهرين ثم عاد مرة أخرى، فهو كأي ذنب آخر كنت تفعله وتاب الله عليك منه عندما نويت التوبة وقررت بعزيمة بأنك لن تعود له مرة أخرى.

ولك مني بعض النصائح التي قد تساعدك على الإقلاع عن التدخين:

لو أحسنت النية لله وتذكرت قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت:69]. بدايةً العزيمة هي رأس مالك في هذا الموضوع، فإذا لم يكن لديك عزيمة قوية فلا تتعب نفسك من البداية.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها... إن السفينة لا تمشي على اليبس

يجب عليك أن تعرف أنك ارتبطت بحالات مزاجية مع كل مرة تدخن فيها، مرة كنت سعيداً ومرة كنت حزيناً ومرة مكئتباً، وهكذا فتغيير الأماكن قدر المستطاع والصبر على ألم الحالات المزاجية من أهم أسباب الإقلاع..

ثم بعد ذلك البعد عن أصدقائك المدخنين قدر المستطاع، والانشغال بالرياضة والأشياء المفيدة..

ابتعد عن أماكن المعصية، واستحضار عظم الذنب عند الله وكيف تلقاه على هذا الحال..

من الأفضل أن تقلع عن التدخين مرة واحدة، ولكن إذا صعب عليك الأمر فابدأ بالإقلاع تدريجيًا، بمعنى أن عدد ما تأخذه اليوم أقل من الأمس وهكذا، حتى تستطيع القدرة على تركه بالكامل، تحمل الصداع والملل والنفسية السيئة في الأول واحتسب ذلك عند الله، وادع الله كثيراً أن يعينك على ذلك..

تذكر أنفاسك وأنت ساجد لله ويخرج منك دخانك! هل تتخيل الموقف؟! فماذا أنت فاعل؟!

استبدل بالسيجارة السواك والعصائر الطبيعية وغيرها من المشروبات المفيدة، وابتعد عن المنبهات أو خفف منها قدر الاستطاعة..

لو أكرمك الله بترك التدخين ثم عادت عليك نفسك والشيطان يحاربانك فاستعن بالله أولاً، ثم تذكر نعم الله عليك من صدر بلا ربو وجسد بلا أمراض، غيرك يعيشون في معاناة مع أمراضهم بسبب التدخين، منهم مصاب

بأمراض الربو ومنهم بالضعف الجنسي، ومنهم بالسرطان -شفاهم الله وعفاهم-، وغيرها من الأمراض الذي كان التدخين السبب الأول فيها..

وتذكر عذاب القبر والوقوف بين يدي الله، وتذكر أنفاسك في السجود، وتذكر أنك عبداً لله فقط وليس للسيجارة.

واحمد الله على العافية، وأكثر من الدعاء واسأله أن يتوفاك وهو راضٍ عنك.

* * *

ترويض النفس

في الستينيات من القرن الماضي تم عمل تجربة لبعض الأطفال في سن الرابعة من العمر والتجربة عن قوة التحمل وتأجيل اللذة، فقدموا لهم قطعة من حلوى المارشميلو ووضعوها أمام الأطفال لمدة عشرين دقيقة وكان الشرط أن من لم يتناولها طوال هذه المدة سيحصل على قطعة أخرى، ثم بعد ذلك تابعوا هؤلاء الأطفال حتى بعد سن المراهقة لكي يقارنوا بين الأطفال الذين لم يتحملوا وتناولوا قطعة الحلوى وبين الأطفال الذين صبروا حتى انتهاء المدة المحددة لهم وكانت النتيجة قوية للغاية، الأطفال الذين استطاعوا أن يصبروا ويتحكموا في أنفسهم تميزوا بقوة تحمل إحباطات الحياة وتحمل الضغوط والتفوق الدراسي وامتلاك زمام المبادرة وقوة الشخصية وبناء علاقة اجتماعية مميزة

وإن كانت هذه التجربة بسيطة للغاية ولكنها قوية المعنى والهدف، والحياة كلها تقوم على ذلك تقوم على حبس النفس عن الملذات والمحرمات وتحمل الألم الذي يقودك في النهاية إلى طريق النور

قال الله تعالى في سورة البقرة (فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم)

قال الدكتور مصطفى محمود رحمه الله، هنا الانتصار في المعركة مقرون بالانتصار على النفس، فشربوا منه إلا قليلا منهم وهؤلاء هم القليل في كل عصر الذين اختارهم الله فهم أهل الله، وهكذا في كل المعارك يبدأ الانتصار عندما تقاوم ما تحب وتتحمل ما تكره

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ميدانكم نفوسكم، فإن انتصرتم عليها كنتم على غيرها أقدر، وإن خذلتم فيها كنتم على غيرها أعجز، فجربوا معها الكفاح أولا، ونحن نعلم أن الجنة حفت بالمكاره وأن النار حفت بالشهوات، فالشهوات كثيرة وتطارد الإنسان في كل مكان وبعض النفوس تشتهي ذلك كمن يشتهي النظر لما حرمه الله ومن يشتهي زيادة أمواله بطرق مشبوهة وغيرها، والمكاره كثيرة فالنفس تكره أن تقوم من فراش دافئ لتتوضأ بماء بارد وتذهب في العتمة لصلاة الفجر والنفس تكره الجهاد وغيره، فإن طاوع الإنسان نفسه هلك وإن عصا النفس نجا

قال إبراهيم ابن أدهم رحمه الله أشد الجهاد جهاد الهوى من منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلاها وكان محفوظًا ومعافى من أذاها

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم، فالنفس إن لم تلجمها وتقودها إلى الخير قادتك إلى الشر وإن لم تشغلها بالحق والخير شغلتك بالباطل، والنفس إن تَمكن منها طول الأمل هلكت لا محالة فإن الأماني أخطر شيء على النفس، فبالأماني تتوهم في طاعتك وتهون على نفسك كبائرك وتظن العمر مازال طويلاً، وتظن أن هناك فرصة للتوبة وفرصة للحج والعمرة والاستغفار وقد نُسج كفنك، إنها الأماني التي دمرت أغلب البشرية فجعلتنا نطمئن إلى أعمالنا ونركن على ما قدمنا، ونظرنا إلى المستقبل على أننا مازال أمامنا الباب مفتوحاً، وشغلتنا الأماني حتى تفاجأنا بأننا على فراش الموت وأيدينا صفرٌ، فاحذر الأماني والجم نفسك بكتاب الله

فالنفس تريد جلب الثناء حتى ولو أصابت الرياء حتى ولو خالفت شرع الله، فالنفس مثل الثعبان لكي تتغلب عليه يجب عليك أن تمسك برأسه وتسحقه في الأرض، وكان يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه إني بليت بأربع ما سلطوا إلا لجلب مشقتي وعذابي إبليس والدنيا ونفسي والهوى،

ومن شُعب النفس أنها قد تقبل أمراً فرضه الله ولكن قد يكون على مضض والصدر به حاجة، فتقوده نفسه إلى النفاق ومن ثم يترتب عليه كل إثم وخطيئة فيما بعد، فقد ترى أناساً وجيهة الشكل وقلوب تخالف ذلك وقد ترى أُناساً متواضعة ولكن قلوب ونفوس زكية تقود صاحبها نحو الخير،

ولذلك من عيوب البشر أنهم يستعجلون في الحكم بالظاهر ثم يتفاجأون بصدمات تجعلهم يعممون بالسوء فيخرجون من خطإ إلى أخطاء

ومن عجائب النفس أنها تتقلب في اليوم الواحد لتشمل لجميع النفوس فتجدها في الصباح لوامة وفي المساء آمرة بالسوء وقليلاً ما تصل إلى المطمئنة إلا ما رحم الله، والنفس تتقلب كما تتقلب القدور فتجدها أوقاتاً في أعلى دراجات الإيمان وقد تستغرب من العصاة الذين يبارزون الله بالمعاصي ثم تقع هي فريسة الذنب ثم تتوب ثم ترجع، فهي متقلبة لابد لها من الإلجام، ومن أقوال سفيان الثوري رحمه الله ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نفسي، مرة لي ومرة علي، فليس بشاغل يشغلك عن الله كنفسك التي بين جنبيك

فعمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما أراد الله أن يهديه ويشرح صدره للإسلام حول نفسه من عدوٍ لله ورسوله إلى فاروق الأمة في لحظات، وعندما أراد الله بالفضيل بن عياض خيرًا الذي كان يعمل قاطعًا للطريق جعله داعيًا إلى الله فيصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، فالنفس التي ينتزع منها الإيمان حينما تسرق أو تقتل أو تزني هي نفسها التي كانت من قبل تفعل الخيرات

فهناك عدة طرق لترويض النفس ومحاولة إمساكها قبل عصيانها وتمردها على صاحبها

- الدعاء، فهناك أدعية كثيرة تبين الشكوى للخالق من النفس فهو خالقها وهو القادر على إصلاحها، فبالبداية يكون طلب العبدِ من الله أن يصلح نفسه ويقيه شرها فإننا لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، فقد قال الشافعي رحمه الله إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأولُ ما يجني عليه اجتهادُهُ، وفي الدعاء اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجُره إلى مسلم، وغيره كثيرًا من الأدعية

- خالفك هواك واعصِ نفسك، فقد قال عطاء الله السكندري (إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقا، فخالف هواك ستجد الصواب في مخالفة الهوى والنفس، فلله در من قاد نفسه وهي تبكي إلى أن قادته وهي تضحك فلابد من الشدة والصبر مع النفس مع ترك التسويف، لان أعظم الجهاد جهاد النفس وأعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، ومن يؤمن بالله يهد قلبه

- جاهد نفسك، فأعظم أنواع الصبر هو الصبر على معصية الله وهو حبس النفس وإلجامها عن فعل المحرمات فمن تلمح حلاوة العافية هانت عليه مرارة الصبر، قال الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)

- العقاب والمكافأة، فإن جَلبت نفسك عليك الفخر أو أعجبت بالثناء عاقبها بالتأدب وألزمها طاعة كمثل الذي يتصدق مع كل نفخة سيجارة أو

كالذي يصوم عقابًا لنفسه التي ضعفت وفعلت ذنبًا، فتعلم كيف تعاقب نفسك عند عصيانها بالعقوبة المناسبة وتعلم أيضا كيف تكافئ نفسك عندما تفعل شيئاً يستحق المكافئة

- الوقاية دائما خيرُ من العلاج فابتعد بنفسك عن مواطن الشبهات والشهوات، وأحفظ بصرك وقلبك من الهلاك، وزكهما فما من إنسان ينهي نفسه عن الهوى إلا والجنة هي المأوى

- الرقابة، من الأشياء التي تهذب النفس هي رقابة الله في السر والعلن وأنك من الممكن أن تموت في أي وقت، ولذلك أكثر من ذكر هادم اللذات، وأكثر من زيارة القبور والمستشفيات لكي تعظم نعم الله عليك وتهذب نفسك عندما تغفل عن الحق

* * *

مطعم البيك

البيك هو مطعم شهير في السعودية بدايته كانت في مدينة جدة ثم انتشر في محافظات كثيرة في المملكة وأصبح من عادات الحجاج والمعتمرين في مكة والمدينة، تميز بمذاقه الطيب وسعره المتناسب مع الجميع فضلاً عن الخدمة السريعة والمتميزة من طاقم عمل يمتاز بالجودة، يقدم بروستد دجاج مقلية بخلطة من التوابل التي أجلبت له المذاق الجميل

عندما ذهبت إليه أول مرة أزعجني الزحام الشديد ولكن بعد دقائق وجدت سرعة كبيرة في إنجاز الطابور بعد تنازل عداد الأرقام باللوحة المعلقة في مدخل المطعم، وفي مرات آخرى جلست أنا وأصدقائي في الدور العلوي فوجدت خدمة مريحة جدا من قبل العاملين وتنظيف المكان باستمرار بعد خلو كل طاولة من الطعام فعلمت أنه ليس من فراغ أن يحصل على شهادة الأيزو

كان من العجيب كل هذا الزحام الشديد الذي لم أجده في أي مطعم قط ذهبت إليه أو يأخذ شهرة بهذا الازدحام مع هذا السعر المتواضع والخدمة العالية، فضلا عن حجاج بيت الله والمعتمرين وكأنه من طقوس العمرة الذهاب بعد الانتهاء منها إلى أقرب فرع لمطعم البيك وأخذ وجبتك المفضلة،

وبعد فترة كبيرة عرفت أن صاحب المحل يخرج عن كل وجبة من وجبات البيك ريال وقف للصدقة للجمعيات الخيرية وغيرها، ثم توفى صاحب المطعم رحمه الله، فما كان من أبنائه إلا أن يكونوا أكثر عطاءً فأخرجوا عن كل وجبة ريالين

كانت هذه الصدقة لها فضل كبير في مضاعفة المال وفي الحديث ما نقصت صدقة من مال، فماذا يحدث لو فعل كل التجار هذا الفعل أو كل صاحب منتج من المنتجات أخرج عليه صدقة،

تجد بعضاً من التجار وأصحاب الأموال يخشون كثيرًا على نقص أموالهم بطريقة مبالغ فيها، وهذا من حرصهم الزائد على الدنيا التي يجهلون حقيقتها، والقليل منهم هو الذي ينفق مما أعطاه الله وهم الأذكياء الذين يعلمون أنهم يتاجرون مع الله الذي يضاعف الأجر في الدنيا والآخرة

قد تجد شخصاً يخبرك أن الموضوع ليس له علاقة بالصدقة وإنما هو جودة المنتج وسعره هو الذي يحدد كمية المبيعات ولو فكر قليلاً لوجد أن ملايين المطاعم تقدم وجبات جيدة جداً مع أسعار معقولة ولكن لا تبلغ كمية المبيعات مثل مبيعات البيك ولا انتشار الفروع الملاحظ، ستجد أن بالفعل هناك شيئاً مختلفاً ألا وهو البركة التي كانت نتيجة طبيعية لكل هذا المجهود من العاملين وغيرهم وتطهير كل ذلك بالصدقة المتبعة مع كل وجبة

لن ينسى التاريخ أبدًا حاتم الطائي وكرمه المشهود الذي قيل عنه أنه كان يذبح كل يومٍ عشرة من الإبل ويوزعها على الناس وحتى عندما اشتد الدأب والجوع في أوصال الناس في عام مجاعة فما منه إلا أن قام بذبح فرسه وأجج نارًا وأطعم الجائعين

الكثير من الصحابة أنفقوا جميع أموالهم على الإسلام وهم فرحون بذلك ولا يريدون إلا رضا الله واتباع حبيبه، فالآن حالة من البخل المتبع بين الكثير من الناس وبالأخص الذي يملك المال والعجب أنه لا يعرف مقدار أمواله ويخشى النقصان ويخاف الإنفاق وكلما ازداد مالاً ازداد بخلاً

الخلاصة فيما يفهم حقيقة الدنيا وحقيقة البلاء فكيف يستغل ذلك أصحاب الأموال بحيث يبقى هذا المال صدقات جارية لهم بعد مماتهم، وفي نفس الوقت تحل البركة على أموالهم ويستفيد من ذلك هو وأبناؤه فبادروا بالكرم فالله أكرم

* * *

أثر البيئة على سلوك الإنسان

بداية من ميلاد الإنسان حتى مماته تبدأ البيئة المحيطة به تؤثر فيه، فكل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، ثم تتنوع الأشياء المؤثرة فيه من أبوين مثقفين متعلمين أم لا؟، ثم أصدقائه ومدرسته والحي الذي ينشأ به ومن ثم تخصصه وعمله وما يؤثر عليه من علوم وإن كانت السنوات الأولى من عمر الإنسان هي اللبنة التي تُشكل ملامحه في المستقبل وما هي ميوله وما هي طباعه ؟

الظروف المحيطة بكل إنسان هي بالفعل من لها تأثير قوي على سلوكه وأفعاله بغض النظر عن الحالات الشاذة القليلة، إلا أن بعض الضمائر تموت سريعاً وبعضها يصمد أمام العواصف إلى آخر نفس فإذا صمد وكان صادقاً أعانه الله على ظروفه وأبقى له ضميره حيًا،

فتجد على سبيل المثال من تربى في بيتٍ صالح متدين له تأثير عليه كبير، على عكس من تربى في وسط فاسد فنشأ على الفساد، وكما قال الشاعر وينشأ ناشئ الفتيان منا على ماكان عوده أبوه، ومن تربى في بيئة فقيرة أثرت فيه وكذلك من تربى على الترف والغنى له تأثيره الواضح عليه، وكذلك من

تحمل المسؤولية الشاقة في تربية أخواته بعد يُتمه وهو صغير فأصبح صلباً قوياً منذ الصغر ومن اعتاد الدَلاَل من الصعب أن يستقيم إلا بصعوبة، فمن هنا تعددت الظروف المؤثرة على حياة الناس فمنهم من استسلم للظروف وانساق على ما أمرت به ومنهم من حاول من إصلاح الظروف المحيطة به حتى ولو أثرت فيه قليلا، كان لي صديقٌ تأثرت أخلاقه كثيرًا بعد أن امتهن مهنة معينة، وآخر ازداد غروراً بالتحاقه بكلية قمة، وآخر قسا قلبه بعد أن زادت أمواله، وغيرهم الكثير من أثرت البيئة الجديدة عليهم

ومن عظم تأثير المكان على الإنسان حديث من قتل مائة نفس فذهب إلى عالم فقال له انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فقد يتجمع كثيرٌ من الشر في مكان واحد كما أيضا يحل الخير والصلاح على مكان ما وإن كان أغلب الأماكن لا تخلو من الذنوب ولكن ما نتحدث عنه هو الظاهر العام للمكان وما يشتهر به وكذلك الأعمال فمنها ما يغلب عليها الفساد والشر ومنها ما يقربك إلى الله

ومن حكمة الخالق أنه جعل لبعض الأماكن فضلاً عن الآخرى فجعل مكة والمدينة والقدس وما حولها مباركاً والصلاة فيها أضعاف أضعاف الصلاة فيما سواها، كما تفضل سبحانه بتكريم أماكن ذكرت في القرآن عن آخرى وفضل أيضًا أياماً وشهوراً على بعضها وجعل أفضل الأيام يوم الجمعة

وأفضل الشهور شهر رمضان وخص منه أفضل الليالي وهي ليلة القدر وجعل من يوم الجمعة ساعة استجابة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه

ومن خلال تجاربي الحياتية لقد تعاملت مع الكثير من الجنسيات المختلفة بحكم عملي وتنقلي فتعاملت مع العربي والهندي والفلبيني والبنجلاديشي والنيبالي والصيني وغيرهم ومن العرب من هم مختلفون في الأماكن والعادات كمن يسكن شمال غرب أفريقيا ومن يسكن جزيرة العرب ومن يسكن بلاد اليمن وكلٌّ منهم مختلف اختلافاً كبيرًا عن الآخر ولهذا قال الله تعالى (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)

فهنا كان تأثير البيئة والمنطقة باختلافها تأثيراً على كل شخص من هذه الجنسيات فتجد بيئة الإنسان الصحراوية تختلف عمن يسكن الحضر والمدن وتؤثر البيئة الفقيرة على سُكانها مثل البنجلاديشي والنيبالي وبلاد جنوب أفريقيا والصومال وتؤثر الحرية في المعتقدات وغيرها على الفلبيني، وتأثر الهنود كلاً حسب منطقتة لكبر حجمها وجاء الصيني مختلفًا كليًا عن الجميع فتأثر بالماديات والدقة في كثير من الأشياء مما تربى عليها، وجاء ابن شمال أفريقيا باختلاف فهناك فرق بين الجزائري في الطباع وبين التونسي

والمغربي وهناك من تربى على صوت المدافع والقنابل وتوقع الموت في أي وقت فكان ابن فلسطين مختلفًا عن الجميع

وفي مصرنا يختلف الصعيدي عن ابن المدن الكبيرة كالقاهرة والإسكندرية ويأتى ابن القناة والسواحل باختلاف كبير حتى اللهجات مختلفة وليس ذلك فحسب بل هناك من يختلف باختلاف الأحياء فهناك من يتأثر على حسب الحي الذي يسكنه كالذي يسكن الحي الشعبي والذي يسكن الأحياء الراقية ولكن الشيء الذي يميز الإنسان في كل مكان وفي كل بيئة هو الخلق والتربية الصحيحة إن تواجدت في أي مكان فسيكون لها الفضل الأكبر والحظ الأوفر مهما كان من حولك يدعو إلى السوء ولكن سيكون كالذي يقبض الجمر على صدره

يقول الدكتورعادل صادق

(إن كل إنسان هو محصلة إرثة الخاص من جينات الوراثة مضروبًا فيه أو مضافًا إليه أو متفاعلاً مع ظروفه البيئة التى تربى فيها) ونجد ذلك كثيراً في بيئة العمل فتجد العامل الذي تربى على استخدام الآلآت البدائية في العمل إنتاجه ضعيف عمن تربى على استخدام الآلآت الحديثة في اليابان وألمانيا فنفس الانسان يحمل نفس العقل والأطراف والجسد ولكن البيئة التى تربى فيها أثرت في عمله للشيء فكان إنتاجه أفضل عن الآخر وتجد العامل الزراعي الذي كان يستخدم في بلده الأدوات البدائية عندما هاجر وسافر

وعمل في الزراعة وجد اختلافاً كليَّاً في العمل، فما كان ينتجه في عامٍ كاملٍ أصبح ينتجه في شهر أو أقل وهو هو نفس العامل ولكن البيئة المحيطة اختلفت ولك في بعثات محمد علي باشا إلى أوربا وغيرها الدليل على ذلك، ولقد رأيت على المستوى الشخصي أشخاصاً تحسنوا أخلاقياً بتغير أماكنهم عندما تركوا البيئة التي اعتادوا عليها من فعل السوء،

ومن هنا جاءت أهمية التنقل من مكان لآخر إذا اضطررت لذلك سواء ظروف مادية أو أخلاقية فمن خاف على أولاده من البيئة المحيطة والتنشئة في مكان يؤثر بالسلب عليهم فعليه البحث عن مكان آخر أفضل ومن خاف على فتنة في دينه فليبحث عن مكان يعبد الله فيه حق العبادة وهكذا وكلٌّ على قدر استطاعتة، فمن يعمل بمهنة يوجد بها شبهات كثيرة وجب عليه الصبر حتى يستطيع إيجاد عمل آخر شريف ولكن سنحاسب بالتأكيد على عدم تحركنا ونحن قادرون أن نغير من عمل فيه شبهات أو ببعدنا عن مكان لا نستطيع عبادة الله حق العبادة ونحن قادرون على ترك هذا المكان
سنحاسب بالتأكيد على الأمانات التى أمننا الله عليه من أطفال ونساء إذ لم يجدوا مكانًا تصح فيه حياتهم ونحن قادرون على الانتقال إلى الأحسن،
سنحاسب على عدم محاولتنا في تغير الظروف المحيطة بنا، سيقول لنا الله ألم تكن أرضي واسعة، فإذا لم تحاول وأنت قادر فأنت آثم.

* * *

أزمة ضمير

لولا وجود أزمة ضمير لما وجدت حالنا كمسلمين هكذا، لما وجدت موظفاً مرتشياً ومعلماً مبتزاً، وطبيباً متاجراً بأرواح البشر، وإعلامياً منافقاً، وصحفياً كاذباً، ومحامياً لصَّاً، ولما رأيت زوجاً مهملاً لأهل بيته وأولاده وزوجة لا تتق الله في زوجها، لما رأيت عاملاً متنطعًا، ولا طالبًا متكاسلاً ولما رأيت كل هذه الحوادث في الطرق.

فقد حازت اليابان على ما حازت به من تقدم وعلم بسبب يقظة الضمير، بل إن الضمير هو سر كبير من أسرار نجاح الغرب حتى ولو كانوا غير مسلمين، فهم يعملون بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) ونحن نعمل بمقولة: ساعة لقلبك وساعة لربك وحتى ساعة لربك لم نعمل فيها.

الضمير هو الصوت المستتر داخل كل إنسان تراه يضج بالحياة مع كل شريف، وميت معدوم داخل من استباح المحرمات ومن أصبح أسير هواه وشيطانه.

نعم إذا ضاع الإيمان فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحي دينه، فإذا غاب عن القلوب الايمان وتمسكت بالدنيا ورضيت بها، أصبح الضمير شيئًا صعب

المنال، فالنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم، فبينك وبين المحرمات سترة لو فتحتها لم تغلق أبداً إلا ما شاء الله.

قال عبد الله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب إلى مكة فانحدر علينا راع من الجبل فقال له يا راعي بعنا شاة من هذه الغنم، فقال إني مملوك فقال قل لسيدك أكلها الذئب؟ قال فأين الله ؟ فبكى عمر ثم غدا إلى المملوك واشتراه من مولاه وأعتقه وقال أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

وتعلم أنت أيضًا قصة بنت بائعة اللبن ومراقبتها الله، ونعلم كثيراً من القصص التى خلدت أصحابها في الجنة وأيضًا هناك القصص التى خلدت أصحابها في النار، وكل ذلك خلاصته هي المراقبة لله عز وجل مثل الصائم الذي لا يراه أحد ولا يعلم حاله إلا الله.

فالله سبحانه وتعالى جعل جزاء الصائم عنده وهو يجزى به، لأن الصيام هو علاقة بين الله وبين العبد لا يراها إلا هو، وكذلك الضمير بينك وبين الله لو أصلحت قلبك مع الله وأخلصت النية في كل عمل وراقبت الله في السر والعلن نجوت بأمر الله في الدارين وصلح المجتمع وخلا من هؤلاء معدومي الضمير.

* * *

ضحـايـا

في هذه الحياة لا أحد يخلو من لقب ضحية وإن كان لا يدري، فبعضنا ضحايا البيئة وبعضنا ضحايا التربية والوالدين، والآخر من ضحايا الحب وهناك ضحايا الغربة وكثير هم ضحايا المجتمع.

فضحايا البيئة هم الذين يتأثرون سلبيًا بالبيئة المحيطة بهم، كمن خرج إلى الدنيا وجد نفسه في حي سيء السمعة أو منطقة تتجمع فيها عناصر الشر، وعند ذكر هذه المنطقة يشمئز الناس منه، أو كالذي يحكم عليه بسمعة أهل هذه المنطقة وقد يكون ليس له ذنب في كل هذا.

ضحايا التربية والوالدين هم بكثرة في هذه الأيام لأن الكثير من الأباء لم يحسن تربية أبنائه ولم يؤدِّ حقهم ورعايتهم فخرج لنا جيل ممزق نفسيًا من تصرفات الوالدين، هذا بالإضافة لضحايا الطلاق من زوجة وأبناء يدفعون ثمنًا كبيرًا و ليس لهم ذنب في كل هذا مما يجعلهم ضحايا في هذا المجتمع غير العادل.

وعن ضحايا الحب حدث ولا حرج، فقليل ما تجد قلباً خاليًا ويحصن نفسه للحب الحلال، لكن تجد فوضى عارمة في الحب لكل من هب ودب،سريعو الذوبان بمجرد الابتسامة والكلمة الحلوة، لا يسيطرون على قلوبهم ولا

يفكرون بعقولهم، قد يحذرهم الناس من هذا ومع ذلك يمشون فيه، هم أنفسهم الجناة قبل غيرهم، ظلموا أنفسهم بأنفسهم وهؤلاء أكثر الناس التى تدفع الثمن سريعاً ولكن في الآخر يلقبون بضحايا الحب.

أما ضحايا الغربة فهم كُثر خاصة في مصرنا التى تطرد أبناءها بقسوة، فتجد شباباً أفنى عمره في غربة تسمى تربة، وأحلاماً تبدلت من أحلام جميلة كتحصيل العلم والاستقرار إلى كيف تعيش في هذه الأوطان، وتجد نفسك تحولت إلى مجرد محصل ومحول للأموال التى ليس فيها بركة، فشباب ضحى بعمره في غربة لا تسمن ولا تغني من جوع، وزوجة تجلس بين جدران غربتها في وطنها تنتظر من يعود، وأبناء قد اعتادوا الغربة عن أبيهم وأصبحوا عنه غرباء تشوهت نفسيتهم بالبعد عنه وحدث انفصال داخلي بينهم وبين أبيهم، وعند اللقاء تجدهم غرباء يخجل بعضهم من بعض، يحتاجون لسنين وسنين كي يقتربوا ثانية ولكن هيهات هيهات وقضى الأمر.

وضحايا وضحايا... فكلنا ضحايا في هذا المجتمع وكلنا قد مسنا شيء من كل هذا، ولكن العبرة بمن فطن وتفهم ووعى ما يحدث وصحح الطريق وأيقظ نفسه ومن معه، و قد يبقى في القلب شيء ولكن الأيام كفيلة بمداواة كل شيء فالأهم هو أن تفيق من كل هذا ولا تستسلم للقلب ضحية، وأن تقاوم كل هذا وتنقذ نفسك من الأشياء التى تحطمك.

* * *

الألم

سبحان من خلق الإنسان ضعيفًا، وجعل الجبابرة والمتكبرين والمشركين على فراش المرض يبكون، ومن صرخات الألم ينزفون، لا شيء ينفعهم مما كانوا يقدمون لا ولد ولا مال ولا نساء، ينتظرون على سُرر موتهم القريب ويتفكرون ويسألون أين هم من شغلونا عن الآخرة؟ لا يوجد قريب ولا حبيب ولا ولد ولا مال، يتألمون ألماً شديداً من شدة المرض مستعدين دفع كل أموالهم التى جمعوها من هنا ومن هناك بالحلال وبالحرام بالقسوة وبالكذب وبالغش والخداع ليرفعوا آلآمهم ولكن قضي الأمر.

وفي هذه الحياة الدنيا الناس متفاوتون في الشعور بالآلم كلٌّ على حسب رضاه بقضاء الله وقدره، ولأن عقول البشر لا تدرك حكمة الله فمنهم من يسلم لقدر الله ومنهم من يقنط ويسخط.

فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه سخطه، والله لا يأتي إلا بالخير فحكمته من المرض والألم هو تذكير الإنسان بأنه ضعيف وأنه راجع لا محالة إلى الله لكي يذكره بالموت ولكي يرق قلبه ويطرد الكبر والعظمة من نفسه.

فإذا كنت في غفلة ومازلت بصحة وعافية فاحمد الله على العافية واسأله العفو، ونصيحتي لك بأن تنزل المستشفيات لكي ترى ما أحل بالناس من مرضٍ واحمد الله الذي عافاك مما ابتلى به كثيرًا من خلقه، واتعظ لأنك من الممكن أن تكون في هذه المستشفيات في يوم من الأيام، فقاوم نفسك واتق الله فيما أتاك من صحة.

ولا تستعمل نعم الله عليك فيما يضرك ويغضب الله حتى لا ينزع منك نعمه.

* * *

متى تقول لا؟

إذا دُعيت للقيل والقال والخوض في أعراض الناس فقل لهم: لا، وإذا حاولوا أن يفقدوك الثقة في نفسك ويشككوك في قدراتك فابتسم وقل لهم لا، إذا دعوك لأن تضع لقمة في فمك حراماً عن طريق رشوة أو شهادة زور أو كسب غير مشروع فقل لهم بقلب ينبض بالحمد: لا، إذا زينوا لك صورة امرأة لكي تتزوجها وأنت غير مقتنع بها فقل لهم: لا، إذا أرغموك أن تشكر بنفاق فقل لهم: لا، إذا أقنعوك بشيء يخالف فطرتك وطبيعتك البشرية فقل لهم ولا تخف: لا، إذا حاولوا إرغامك بأن توقف عقلك ويحركوك كيفما شاءوا فقل لهم: لا، إذا دُعيت لفعل المحرمات وغضب رب السماء فقل لهم: لا،

يجب أن تفرق بين الطاعة وسلب الإرادة وحبس النفس عن الخطأ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فلا تطع والديك إذا نصحوك بالزواج وأنت غير راض من داخلك، لا تتوقع بموافقتك لإرضائهم تفعل معروفًا بل ستصنع جرماً إذا رأوك تعيساً في حياتك، وإذا شاهدوكِ بعد قليلٍ في بيتهم مطلقة، فلابد للراحة والاطمئنان قبل كل شيء

قل: لا لعقلك الباطن الذي يرغمك على كره نفسك ويجلب لك التشاؤم يومًا بعد يومٍ لمجرد أنك مارست مهنتك كإنسان يصيب ويخطئ، وأبلغه بأنك تحب نفسك وتقدرها حتى يوزع الشحنات الإيجابية على باقي الجسم ويعود بالنفع عليك، حب نفسك من أجل النجاح والبقاء واعلم أن هناك فرقاً بين حب الذات والأنانية.

قل: لا لنفسك عندما تأمرك بأن تحاول إرضاء كل الناس وقل لها: يا نفس، إن إرضاء الناس غاية لا تدرك، وأن مهما حدث فلن تكون لطيفاً في كل الأوقات وأن مهما كان ذكرك حسناً بين الناس سيكون أيضاً هناك من يحمل في قلبهِ شيئًا منك.

قل: لا باقتناع وليس حباً للسيطرة قل: لا وأنت تعلم وتثق بأنك على حق وعلى الصواب، قلها وأنت تعلم بأنك تمشي في الطريق الصحيح وأنت وحدك المسؤول عن قراراتك وعن حياتك، أنت وحدك من تتألم ومن يدق قلبك ومن ينزف فلا تجعل لأحد عليك سبيلاً، وكن قوياً في أدق القرارات في حياتك لأن من أفدح الأخطاء التي يرتكبها الإنسان في حق نفسه ما كان نتيجة لمواقف كان يجب أن يقول فيها لا فقال: نعم، فانقلبت حياته رأساً على عقب بسبب قوله نعم.

استبدل قولك نعم بقول سأفكر وأرد عليك أو الموضوع محتاج دراسة أو استخارة لا تكن مطيعاً في قرارات مصيرية في حياتك تحتاج إلى التأمل والتفكير والجلوس مع النفس لمعرفة ما إذا كان هذا الاختيار صائباً أم لا.؟

ويبقى عليك أن تقول لا بأسلوب جيد حتى لا تجرح من يحدثك، وفي نفس الوقت ألا تغير موقفك من المسألة المعروضة عليك فإذا شعرت بضغط في الحديث من المتكلم فأبلغه بأنك سترد عليه لاحقاً ثم بعد ذلك تفكر في كيفية الرفض بأسلوب دبلوماسي حتى ولو لم يكن أمامك مباشرة.

فمن يتقدم لخطبتك وهو غير كفء لكِ ولا يناسبك في العلم ولا المكانة ولا الخلق، فعليك الرفض بأسلوب حسن حتى ولو أبدى الجميع القبول والموافقة فاخرجي أنت بموقفك ولا تتأثري بأي ضغط، ولا تتزوجي شفقة ولا تتزوجي مجاملة لأحد ولا تعتقدي بأن الأيام كفيلة بإصلاح الفاسد فزواجك هو أهم شيء في حياتك، وأنتِ عندما تختارين زوجاً صالحاً فكأنما تختارين كيف يكون أولادك في المستقبل، فليس المهم أن تتزوجي ولكن المهم بمن تتزوجين، فالهدوء والثبات والاستخارة هم حلفاؤك في هذه المرحلة.

وفي هذه الحياة ستقابلنا مواقف كثيرة بعضنا يخجل من قول لا، ثم بعد ذلك يقف حزيناً يندب حظه من الدنيا وكيف وقع في هذا المقدور، اعلم يا أخي بأن الإنسان مخير ومسير، فقراراتك المصيرية من اختيارك أنت لا أحد يرغمك على أن تأكل هذه الأكلة ولا أنت تشرب هذه الشربة فكن متحملاً لما اخترته أنت ولا تلومن يوماً أهلك والناس والظروف فأنت وحدك من تدفع الثمن.

* * *

ظاهرة الانتحار بين المسلمين

نتذكر جميعاً الحديث الذي يصف الصحابي الذي قال عنه أصحابه ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه من أهل النار، فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، بالرغم أنه كان مجاهداً في سبيل الله ونحن نعلم ماذا يعني لنا بأنه مجاهد وما هو فضل المجاهد ولكنه من أهل النار،

الانتحار ما هو إلا سخط من العبد على قضاء الله وقدره وعدم الرضا بما كتبه الله عليه وعدم تحمل الأذى الذي قد يكون أوشك على الانتهاء ولكنكم قوم تستعجلون فكثيرٌ منّا قد يكون قريباً من محطة الوصول والعبور إلى بر الأمان وقبل الوصول بقليل يفقد صبره ويستعجل الموت يأساً من حياته مكتئباً من حاضره،

فمهما كانت ظروفك وأحوالك ومهما كان البلاء الذي أنت فيه لا يحق لك قتل نفسك؛ لأنها ببساطة ليست من حقك إنها ملك الله الذي وضع أمانته فيك لتعبده حق العباده يعلم بحالك ويرى مكانك ويعلم سرك وجهرك يبتليك ليطهرك من ذنوبك حتى تلقاه بدون ذنوب فما عذاب الدنيا من

عذاب الآخرة إلا قليل، فهل تنقل نفسك من العذاب الأدنى إلى العذاب الأكبر، فكم من المحن والبلوى التي مررت به في حياتك وخفف الله عنك كم من مصائب مرت بك ونجاك الله في السابق، كم مرة دعوته أن يخفف عنك ما أنت فيه فاستجاب لك، أتتذكر ذلك اليوم الذي شعرت فيه أنَّ قيود اليأس حطمتك وكان الهم رفيقك وكأن الدنيا أظلمت عليك من كل جانب وناديت يا الله فنجاك ورأف بحالك أنسيت أم تتناسى أم أنك ممن ينكرون المعروف، فما أنت فيه من هم وحزن فهو لغيرك قليل بل بعضهم يحسدك على ما أنت فيه وبعضهم قد يتمنى أن تكون بلواه مثل بلواك

قال الله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا)

إن الإحصاءات تؤكد أن أغلب المنتحرين كانوا يعانون من اضطرابات نفسية وعصبية زائدة وفقدان الأمل واليأس من الحياة بأكملها بل إن كثيراً منهم مدمنو الكحوليات والمخدرات وكثيراً منهم فقدوا الحبيب أو فشلوا في العلاقات الزوجية، وكثيراً منهم فشلوا أكثر من مرة في محاولات الانتحار ومنهم من شوه نفسه بالنار وأصبح حتى غير قادر على الحركة ومنهم من شُلَّت أركانه ومنهم من ندم أشد الندم ومنهم ومنهم ولكن الحقيقة إذا التقينا مع كل المنتحرين المنجَّين من عملية الانتحار تجدهم مشتركين في شيء واحد وهو توقعهم أن بعد الانتحار أخف عذاباً وألماً من هذه الحياة

وهذا فكر عقيم ولذلك قال أحد السلف ذنب المسلم جهل منه هم يجهلون بالفعل ما هي عقوبة المنتحرعند الله، يرددون دائما بأن الله غفورٌ رحيمٌ ولكن الله وضع قوانين لهذا الكون العظيم وجعل عقاباً لمن يخالفه وقال عن نفسه سبحانه بأنه غافر الذنب وقابل التوب ولكنه شديد العقاب فلابد لمن يفكر في الانتحار يعرف أولاً ماذا عند الله للمنتحر ؟

ولكن المسلم الحق الذي رسخ الإيمان في قلبه وجب عليه أن يعلم أنه مخلوق في كبد ويعلم علم اليقين بأن الدنيا ليس دار مستقر وإنما هي دار ممر والسعادة والراحة لا توجد إلا في الجنة التي يعمل المسلم لها طوال حياته الدنيا فعندما يفكر في الانتحار في الدنيا يكون قد ضعف دينه وإيمانه إلى درجه عالية جداً وهانت عليه نفسه فقتلها ظانّاً أنه ارتاح من الدنيا ومشاكلها وهمومها ولا يدري بأن الله توعد لمنتحر فقال سبحانه (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) بل لا يجوز للمسلم أن يدعو على نفسه حتى لا تكون هناك ساعة إجابة، لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنياً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي،

فنصيحتي للشاب الذي فكر ولو للحظات في الانتحار أقول له لم يخلقنا الله للهروب من المشاكل وإنما خلق الله هذه الحياة وجعل الكبد للإنسان ملازماً وجعل لمن يعمل أجراً وجعل للنجاح عملاً وجعل للجائزة الكبرى (الجنة)

كفاحاً حتى تلقاه، لا تتخيل بأنك وحدك في بلواك فانظر حولك هل ترى إلا مبتلى أو منكوباً أو حزيناً؟، ولو ذكرت نعم الله عليك فلن تحصيها ولكن الإنسان لظلوم كفار يكفر بنعم الله عليه التي لا تعد ولا تحصى

فإذا راودك شيطانك وأراد بك الكفر فاستعذ بالله منه إن كيده ضعيفٌ وحافظ على الصلوات في وقتها والأذكار اليومية من أذكار الصباح والمساء وغيرها وعليك بآية الكرسي وآخر آيتين من سورة البقرة، عليك بالاستغفار والذكر والورد اليومي من القرآن، يجب عليك ألا تكون عاطلاً أبداً حتى ولو لم تجد عملاً اعمل أي عمل تجده أمامك ليس عيباً ولكن لا تجلس فارغاً، كن رفيقاً للإيجابيين وابتعد عن السلبيين المتشائمين.

جدد حياتك ونشاطك غير مكانك الذي أنت به فترات طويلة، غير شكل غرفة نومك، انزع الصور التي بالجدران في بيتك، متى آخر مرة سمعت سورة البقرة، متى آخر ختمة من القرآن انتهيت منها، متى آخر زيارة للمرضى المتألمين بالمستشفيات، متى آخر رحلة استجمام لك نعم أنت تحتاج لرحلة تغير بها نشاطك وطاقتك وتبعد قليلاً عن نفس الوجوه التي تراها كل يوم، هل لك رياضة تمارسها يجب عليك أن تبدأ الآن إن لم يكن لديك، هل تصل رحمك جرب ولن تخسر شيئاً.

هل تصلي الفجر؟ أدعوك أن تحافظ على صلاة الفجر فهي السعادة والسرور لمن عرفها وستكون في معية الله حتى تمسي ويبشرك الله بالنور

التام يوم القيامة فهنيئاً لمن صلى الفجر في جماعة، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، فالسعادة في ذكر الله والقرب منه وعندما يزيد الإيمان تزيد السعادة والعكس صحيح قال الله تعالى (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا) ولا ننسى في النهاية أن نذكر بأن ما أصابنا من مصائب فبما كسبت أيدينا ويعفو الله عن كثيرٍ من الذنوب والمعاصي فالتوبة والرجوع إلى الله بداية الطريق للحصول على التوازن النفسي والسعادة الدنيوية التي هي الطريق إلى الجنة

* * *

كيف تتعامل مع مراهق؟

لعل من الاختلاف بين الأجيال هى الفجوة التى تحدث بين فهم كل منهما الآخر، وكل جيل يأتى يكون أقل ورعًا وتقوى من الجيل السابق، وكلما ازداد العمر ازدادت الفجوة.

وفى مرحلة من مراحل عمر الإنسان ظهرت مع علوم النفس والاجتماع سميت بمرحلة المراهقة، مصطلح لم يدرج فى كتب الفقه الإسلامى ولكن تناولته كتب الفقه بمسميات أخرى وحث الإسلام على معالجة هذه الفترة بأشكال كثيرة.

فمنذ المرحلة الأولى من الزواج واختيار الأم الصالحة ثم ذكر الله عند الجماع والتعوذ بالله من الشيطان الرجيم أن يتجنب الشيطان هذا المولود، ثم تعليم الصلاة منذ سبع سنوات والضرب عليها عندما يصل إلى العشر، وتعليم شىء من القرآن والحرص على تنشئة الأولاد تربية إسلامية كل هذا يجعل للأبناء حصنًا حصينًا من شياطين الإنس والجن فى مرحلة ما بعد البلوغ أو ما تسمى المراهقة ولكن الآن ما يجب علينا فعله لاحتواء هذا المراهق حتى يعبر بر الأمان.

أولاً: كن صديقًا له منذ الصغر ولا تجعله ينفر منك حال وقوع خطإ، ذكاؤك أن تجعله يثق بك ولا يخاف أن يحدثك عن خصوصياته، وعلمه أن يختار أصدقاءه بعناية حتى لا يقودوه إلى طريق تندم عليه، علمه أن يقول لا لأصدقائه حال أن دعوه للانحراف والضياع، علمه أن يكون على وعى بما يحدث حوله، لا يكون متبوعًا بلا وعي.

ثانيًا: لا تكثر من خوفك الزائد عليه حتى لا يصبح انطوائيًا بعيدًا عن الناس منعزلاً عن عالمه وعن جيله، اترك له حريته ولا تتوقع أنه ليس بالذكاء الكافى لكى ينتصر على مشاكله الخاصة، كن ناصحًا رحيمًا وعند اللزوم كن شديدًا صارمًا تعامل مع أولادك بذكاء حتى لا تفقدهم من بين أيديك.

ثالثًا: اجعل له خصوصية لا تتطفل عليه ولا تكن مثل المراقب ليل نهار فهو لو يريد أن يخدعك فسيفعل ذلك بسهولة، لا تتدخل فى كل كبيرة وصغيرة تخصه اجعل له عالمه الخاص من رسائل واتصالات وخلافه، اجعل الصداقة التى بنيتها معه هى التى ترده إليك ليروى لك تفاصيل حياته وهو مطمئن من حسن تصرفك معه.

رابعًا: يجب عليك أن تحترم المراهق فى كل وقت أمام الناس وأمام زملائه ولا تهنه أبدًا فقد تتسبب فى مشكلة نفسية له فى هذه المرحلة وأنت لا تدرى، وعليك التبين قبل الاتهام عندما يأتى أحدهم ليشكو لك من أفعاله فتبين

قبل الاتهام وقبل الشك الذى قد يفقد المصداقية والصداقة التى بنيتها مع أولادك.

خامسًا: الاحتواء يجب عليك تفهم اختلاف الأزمان وما يواجهه الآن المراهق من عرى للنساء وانفتاح حول العالم من الإنترنت والتلفاز وغيره، كل هذه مغريات تؤثر بالسلب عليه فكن ناصحًا وصديقًا محتويًا متفهمًا لما يحدث حولك يقظًا مع أكبادك.

سادسًا: وجه ابنك حول استغلال طاقته بحيث لا تتركه للفراغ وأصدقاء السوء يفعلون به ما يشاؤون، شجعه على الرياضة والقراءة والاطلاع والبحث عن المعلومة واستغلال كل دقيقة من وقته، علمه أن الوقت ليس للترفيه وألعاب الكمبيوتر فقط، ولكن لا بأس من الترويح مع معرفة مصلحتك والحرص على ما ينفعك.

سابعًا: ربوا أولادكم على زمانهم لا على زمانكم فإنهم ولدوا لزمان غير زمانكم، ورحم الله سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه عندما قال رحم الله والدين أعانا ولدهما على برهما

(فالصحابى أسامة بن زيد رضى الله عنه قاد الجيش وعمره ثمانية عشر عامًا فهل تعامل ابنك ذا الثمانية عشر عامًا على أنه يصلح لقيادة الجيش

فى هذا الزمان، فتفهم اختلاف الأجيال والانحدار الأخلاقى المجتمعى حتى لا تظلم أولادك.

ثامنًا: كن مستمعًا جيدًا له وناقشه فى الأمور الجنسية بأسلوب الإقناع والحكى القصصى لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم عندما جاءه شاب فقال له يا رسول الله ائذن لى بالزنا، فما كان من الحبيب إلا أن عرض الأمر عليه أترضاه لأمك أو لبنتك أو لأختك أو لعمتك أو لخالتك؟ إلى أن أجابه الشاب بالرفض فقال له ولا الناس يرضونه، فخرج الشاب هادئ النفس بعد أن دعا له الرسول بأن يطهر قلبه ويحصن فرجه ويغفر ذنبه، ولا شك أن هذا الأسلوب مع المراهق منذ الصغر يجعله غيوراً على عرضه أكثر، مراقبًا لله ذاتيًا.

تاسعًا: مراقبة المراهق ليست على طريقة فقد الثقة ولكن على طريقة الاتباع بالحب وأن تسأل عنهم عند الله يوم القيامة فكن مراقبًا دون علمه ولا تخبره ولا تشعره بذلك لكى تتأكد أنه يمشى فى الطريق المستقيم، أم وجب عليك الجلوس معه والتفاهم بهدوء وإلحاقه قبل الوقوع فى شىء لم يتفهمه جيدًا.

عاشرًا: أعلم أن من يتقي الله يجعل له مخرجًا وأن صلاح الأب والأم يعود على أبنائهم، وتذكر أخى قول الله تعالى

(وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافًا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديدًا)

فخشيتك وخوفك واتقاؤك لله يحفظ لك أبناءك وبناتك مهما عصفت بك الحياة، فتربيتك فى البيت ومحافظتك على حدود الله سيكون أثره واضحًا على أولادك مهما كانت الضغوط الخارجية أكبر، فكن مربيًا صالحًا محتويًا لأولادك حنونًا عطوفًا عليهم، قريبًا وصديقًا منهم، متفهمًا لكل فترة وحقبة من الزمن، متفهمًا لعناد فترتهم وتقلباتها حازمًا وصارمًا عند اللزوم بارك الله لكم فى أولادكم وأعانكم على تربيتهم.

* * *

الباحثون عن السعادة

كل الناس في هذه الدنيا يبحثون عن السعادة، كلٌّ على حسب فهمه المحدود للسعادة، فبعضهم يظن أن السعادة في جمع المال والبعض يظن أنها في كثرة الممتلكات والأبناء، وآخر يظن أنها في السلطان والجاه وغيرهم وغيرهم كل في واديه يسعى ولكن هل من جمع المال والأولاد والسلطان والأملاك يعيش في سعادة؟ بالتأكيد أنت تعرف الإجابة بنفسك وتشعر بها.

فالسعادة لا تأتي إلا من خلف باب واحد هو معرفة الله والإيمان به والإقبال عليه قال تعالى:

(من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون).

قال ابن القيم رحمه الله: أطيب ما في الدنيا معرفته ومحبته وألذ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته، فمحبته ومعرفته قرة العيون ولذة الأرواح وبهجة القلوب ونعيم الدنيا وسرورها بل لذات الدنيا القاطعة عن ذلك تنقلب

آلاماً وعذاباً ويبقي صاحبها في المعيشة الضنكة فليست الحياة الطيبة إلا بالله.

فتذكر حلاوة الوصال يهن عليك مر المجاهدة، وتذكر يوم اللقاء وأنت فرحٌ مسرورٌ تهن عليك مشاق الحياة، هي ليست إلا مقدمات ونتائج تعيش في كنفه في الدنيا تفرح بلقائه في الآخرة، فالسعادة لا تأتي إلا من اتباع أوامره واجتناب نواهيه، واتباع حبيبه تعيش سعيداً في الدارين.

فإذا كنت تنشد السعادة حقاً فعليك بالإيمان والعمل الصالح واتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الله، فبذكره يطمئن قلبك فإذا اطمأن القلب انشرح الصدر وارتاح البال، وكلمة السر لكل ما نحن فيه هي الرضا، فإذا رضيت بقضاء الله وقدره عشت سعيداً وعلمت أن ما يحدث لك كله في معية الله، فارتاح القلب وهدأت الجوارح وعلمت أن أمورك بيد أرحم الراحمين.

فاشغل نفسك بطاعته وبعمل صالح يرضيه عنك وانظر لمن هو دونك في المال والصحة وانظر لمن هو أعلى منك في العلم والدين والطاعة، وصفِّ قلبك من أحقادك وأمراضك وحب الخير للناس، قدم النفع وكن عبداً شكوراً في كل حال وادخل جنة الدنيا أولاً حتى تدخل جنة الآخرة.

* * *

كف عليك هذا

هل فكرت لماذا خلق الله لك أذنين ولساناً واحدًا؟ بالطبع لكي تسمع أكثر مما تتكلم ولخطورة الكلمة قال الله تعالى(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟.

قال يحيى بن معاذ (القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها) فكل منّا يخرج من لسانه ما يحمله قلبه سواء خيرًا أم شرًا سواء حلواً أم حامضاً فكل إناء بما فيه ينضح، وفلتات اللسان تخرج ما يحمله القلب ومختبئ عن الخلق ولكن الله أخرجه.

وفي الحديث (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه)

فالكلمة هي التي تدخلك الإسلام وهي التي تخرجك منه وهي التي تتزوج بها وتطلق بها وهي التي تهوي بك في النار سبعين خريفًا وهي التي ترفعك إلى أعلى الجنان وهي التي تشهر بها سمعة إنسان وهي ما تفتري بها على خلق الله.

فاللسان ليس له عظم ولكنه يقتل كثيرًا ويجرح أكثر ينافق ويخادع ويكذب ويصدق فإن صدق اللسان صدقت كل أعضائك وإن اعوج اعوجت كل الأعضاء.

فاللسان والقلب قد يكونان أطهر ما في الإنسان وأخبث ما فيه فقط على حسب استخدامهما، فما يحدث في الإعلام والصحافة من كذب وتضليل إنما هي سيئات متراكمة سوف يحاسبهم الله عليها في الدنيا والآخرة ولكن قليل من يفهم ويتقي الله فيما يقول وفيما ينشر.

ونحن نعرف أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه وما نحن فيه من هرج ومرج وكثرة كلام دون فعل وكثرة أكاذيب وإشاعات تملأ الدنيا من حولنا كل هذا محاسبون عليه وجميعًا نعرف أن أكثر ما يدخل النار اللسان والفرج.

* * *

صقيع بلا مأوى

موعد آخر مع البرودة والصقيع، يجمد الدماء في العروق ويزيد بأسنا بأسًا، فهل هذا الصقيع يجدد يقظة الضمير أم يزيد من غفلتنا؟، نملك الغطاء والملبس والمأكل ومازالت أطرافنا ترتعش من بردٍ قارصٍ فما بالك بأطفال ولاجئين مشردين يحتمون بورق الشجر، يضرب أرجلهم البرد ومن فوقهم غارات العدو؟، ترى الرضع منهم يتجمدون ثلجاً، والشيوخ منهم جفت من أجسادهم الدماء، والشباب منهم ما بين جوعٍ ونفضة برد.

أراد الله أن يذيقنا بعضاً مما أُبتلى به غيرنا لكي نفيق من غفلتنا التي نحيا فيها ليل نهار ونكثر من شكوانا على أقل الأسباب، نثور من تأخر بعض الخدمات ونهيج من عدم وجود بعض الأكلات، فهل نشعر بمن جف الدماء في عروقهم وبمن أفقدهم الثلج أبناءهم وبمن فرق الجوع شملهم؟، فزيادة البرد والحر هو مجرد لفت انتباه لك بأن النار أشد حراً وأشد زمهريراً، فالزمهرير هو شدة البرد.

قال الله تعالى عن الجنة: (لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا) أي أن الجنة ضياء هواؤها معتدل في الحر والبرد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قالت النار رب أكل بعضي بعضًا فأذن لي أتنفس، فأذن لها بنفسين نفس

في الشتاء ونفس في الصيف، فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حر أو حرور فمن نفس جهنم. رواه مسلم في صحيحه).
فاجتماع النار والزمهرير في مكان واحد هذا من عظمة الخالق، وكل ذلك ليخوف الله به عباده لكي يرجعوا إليه ويتقوه.

فلكل شيء في هذا الكون حكمة يعلمها سبحانه، فالشتاء معروف بربيع المؤمن يقصر فيه النهار فيسهل عليك فيه الصيام ويطول ليله فيسهل عليك القيام لمن وفقه الله لهذا فضلٌ عظيمٌ، فشدة هذا البرد هي عظة وعبرة حتى تستيقظ من غفلتك وحتى تحمد الله على ما أتاك من فضله.

فإن كنت تملك الدواء والغذاء والمسكن والملبس فأنت في نعيم تغبط عليه، وإن أصابك مثلما أصاب إخوانك في الشام وغيرها فأنت في بلاء شديد أسأل الله أن يفرج عنكما، فعليك يا من تعيش بين دفء ورغد من العيش أن تتذكر إخوانك ولو بالدعاء في سجودك أن يرفع الله عنهم هذا البلاء وأن يرحمهم من هذا الصقيع، وعلى المسرفين أخذ الحيطة والحذر فإن النعم لا تدوم.

* * *

أهلا رمضان

عندما كنت صغيرًا كنت أتساءل بيني وبين نفسي: ما الفائدة من الصيام لمدة ثلاثين يومًا من طلوع الفجر حتى أذان المغرب؟، حتى سمعت بقلبي قول الله تعالى {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} وبالرغم أني كنت أسمع هذه الآية كثيرًا، ولكني ما كنت أتدبر في معناها كآيات كثيرة كانت تمر عليَّ وأنا صغير ولا أتدبر معناها ولكني عندما تدبرت معنى لعلكم تتقون، توقفت وعلمت أن كل هذه العبادات من أجل التقوى فلو تدبرت آيات الصلاة والصيام والزكاة والحج كلها مرادها هو التقوى فمن هنا كانت أهمية التقوى التى هى أساس كل شيء.

واختص الله شهر رمضان بصفات كثيرة عن باقي شهور السنة، فجعله شهر القرآن والتوبة والمغفرة وتكفير الذنوب والسيئات والعتق من النار وشهراً تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتقيد فيه الشياطين، وهو شهر الصبر وحبس الشهوات وبارك الله فيه وجعله شهر الجود والإحسان وضاعف الله فيه الحسنات واختصه بليلة هي خير من ألف شهر، وجعل فيه العمرة بعدول حجة مع النبي صلى الله عليه وسلم.

ولكي تقضي شهر رمضان بأكبر قدر من الحسنات وقبول الصيام والقيام لابد لك من تنظيم واتباع خطوات كثيرة نبدأ بالنية الصادقة مع الله سبحانة وتعالى والإخلاص في ذلك، وأن تتجنب النوم طوال النهار والسهر طوال الليل ليس هذا بصيام، القرآن يجب أن يكون شغلك الشاغل في رمضان لا تنقطع عنه.. تفرغ له.. اترك كل الأفعال التي كنت تفعلها قبل رمضان وتفرغ للقرآن، فالإمام الشافعي - رحمه الله - كان يختم القرآن مرة في النهار ومرة في الليل ولا تسأل كيف ذلك ولكن عليك الاجتهاد والله يضاعف لمن يشاء.

الصلاة في أوقاتها واحرص عليها مع جماعة المسلمين وأن تواظب عليها بعد رمضان فرب رمضان رب كل الشهور فأخلص النية وغير العادات السيئة في رمضان.

قيام الليل متعة رمضان وحلاوة أيامه، فلا تحرم نفسك الأجر واستغل رمضان بالعودة لقيام الليل والاستمرار عليه بعد رمضان حتى ولو بركعتين كل ليلة.

احرص على إفطار الصائمين وأخلص النية لله في ذلك، جدد التوبة والإقلاع عن الذنوب ورمضان فرصة عظيمة للإقلاع عن الذنوب والعودة إلى الله.

اهجر المسلسلات وغيرها التي تضيع الصيام ولا فائدة منها وتعاد طوال السنة لمن يرغب في تضييع وقته وحمل الذنوب.

أكثر من الدعاء في هذا الشهر المبارك وخاصة عند الإفطار وآخر الليل وفي السجود.

فرغ قلبك من كل الشحنات السلبية وسامح كل الناس، وابدأ صفحة جديدة مع الجميع، وصم رمضان وأنت محسن الظن بالله، فتذكر أخي كم من إخوة لنا في الله كانوا معنا رمضان الماضي والآن هم في دار الحق ونحن في دار الباطل!.. نسأل الله أن يبلغنا رمضان ويغفر لنا ويتقبل منا صالح الأعمال.

* * *

نهاية مرتشٍ

استيقظ من نومه على أخبار مفزعة بإدمان ابنه وزواج ابنته عرفيًا، وعلاقات زوجته الخاصة، حياته أصبحت ضائعة، كل شيء كان يجمع المال من أجله فقده في لمح البصر وليس فقدًا فقط وإنما فقدٌ مع العار والضياع لفلذات أكباده.

ويسأل نفسه هل عندما استقللت رزقي من وظيفتي وقررت أن أفتح درجي وأقبل الإكراميات والرشاوى كان لها كل هذا الأثر، إنها الحقيقة المرة التي كانت تلوح في أفقه بين الحين والآخر عندما كان يتذكر أن ماله حرامٌ عندما اختلط المرتب مع الرشوة فأصبح الكل حرامًا لا يفرق بينهما ولا يعرف كيف نام ضميره من أجل راحة وهمية كان يتخيل أن السعادة تُشتَرى بمالٍ حرام وأنه سيتوب فيما بعد وأن دنياه يعيشها مرة واحدة فلابد له أن يعيشها وهو يمتلك المال.

لم يفكر كثيرًا في قبول أول عرض عُرض عليه فقط قارن نفسه بزملائه في العمل وكيف تملكوا العقارات والسيارات وأفخم الأكلات والثياب في مدة قصيرة وأنه بمرتبه الحكومي لو جلس عمره بأكمله لم يحصل على ما يحصلون عليه في ستة أشهر.

مقارنات أدخلته نفسه والشيطان فيها فقرر أن ينحاز نحو نفسه الأمارة بسوء وهذا عقاب الله لأي إنسان أن يسلط عليه نفسه فتهلكه ولذلك كانت أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك

وأرد الله أن يوقظه من نومته وغفلته فأيقظه على نهاية المال الحرام فكل مال أتى من حرام فالنار أولى به.

فكان ما رأى من أولاده وضياعهم ولو أنفق كل هذا المال الذي جمعه لكي يعيد له أولاده صالحين كما كانوا ما استطاع

هناك أشياء لا تستطيع أن تعيدها إلى سابق عهدها كما كانت مهما فعلت فبينك وبين الحرام ستارة لو فُتحت ما أغلقت إلا ما شاء الله فدائما البداية مهمة جدًا وتبقى التوبة مفتوحة دائما لمن أرد أن يعيد حساباته مع الله

عجيب أمرهم هؤلاء البشر الذين يمشون بقانون أنا ومن بعدي الطوفان، يفعل أي شيء مقابل مصلحته.

ماذا عندما يدفع الطالب بكلية الطب رشوة ويتخرج طبيبًا ولكن ذو معلومات ضحلة تؤدي إلي هلاك مرضاه.

وماذا عن باقي التخصصات وماذا بعد امتلاك الألقاب والمناصب التي يحاسبك الله عليها هل تؤدي عملك بما يرضي الله، هل ترضى أنت أن يرد لك مثل ذلك كمن يعلم أبناءك معلم وصل إلى منصبه دون كلل أو تعب فنشر فسادًا في الأجيال، أو ترضى أن ينشىء بيتك مهندس أخذ لقبه بأموال أهله، أو ترضى أن تعالج زوجتك طبيبة من أرباب المحسوبية، فكيف تتخيل المجتمع إذا ساد على هذا الوضع؟

فالرشوة هي دفع المال لقضاء حاجة أو مصلحة من المفروض قضاؤها بدون دفع المال، وهي أعم من أن تكون مالاً أو منفعة فلها في هذا الوقت صورٌ شتى، وهي أشد أنواع أكل الأموال بالباطل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(لعن الله الراشي والمرتشي والرائش) رواه الطبراني، والرائش هو الوسيط والسفير بين الاثنين لما يفعله من تسهيل ما حرم الله، واللعن هو الطرد من رحمة الله، والرشوة هي من أنواع السحت المحرم بالقرآن والسنة، ففي الحديث الصحيح (كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به، قيل:

وما السحت؟ قال: الرشوة في الحكم)

وقال بعض العلماء لو قبل القاضي الرشوة فقد يصل للكفر ؛ لأنه مستعد أن يحكم بخلاف ما أنزل الله ويترتب على ذلك عواقب وخيمة في المجتمع

وظلم بين للناس، هذا بخلاف ضياع الفرص على المستحقين لها وعلو مكانة من لا يستحق ذلك

وفي كل الحالات الرشوة منبوذ صاحبها حرام ماله وهو يعلم ذلك ولا يبارك الله فيه ولا فيمن يرعاهم فاحفظ مالك ونفسك من الوقوع في الحرام ولا تستصغر مالك، فقليل الحلال خيرٌ وأفضل من كثير مختلط، وإن طاوعتك نفسك فذكرها بأن كل مالٍ أتى من حرام فالنار أولى به، وتذكر أن مالك وعملك وعلمك ستسأل عن كل ذلك يوم القيامة

* * *

العلم في السلوك

ما أجمل العلم والشهادات حين تترجم على أرض الواقع ونستخدمها في التعامل مع الآخرين بوعي وفهم وتواصل لماذا أصبحنا لا نقبل الآخر المخالف لنا في الرأي فنناصبه العداء وبدلا من الاختلاف في الرأي يكون الخلاف مع الشخص.

عندما تتحول الشهادة إلى ورقة مكتوب فيها الاسم والمؤهل يضيع معنى العلم وجدوى التحصيل العلم أن تتعلم وتتعلم وتطبقه على أرض الواقع

العلم ليس معادلات ولا نظريات بل هو في أبسط صوره مفتاح للمعاملات يعلمنا كيف نتكلم عندما يؤذن لنا بالكلام ونصمت عندما لا يكون داع للكلام، يعلمنا أدب الحوار وأن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية والعلم كما قال الإمام الشافعي هو اليقين أن رأيك صواب يحتمل الخطأ ورأي غيرك خطأ يحتمل الصواب

يعلمنا كذلك إذا أحببنا نحب في الله وإذا كرهنا نكره في الله

هذا هو العلم الذي نحتاجه وليس فقط العلوم الطبيعة أو الاجتماعية.. العلم الذي يبني الإنسان فيستطيع بناء الوطن

* * *

آخر يوم في عمرك

بعض الناس تذهب إلى الطبيب فيخبرهم أن الأمر خطير، وأنه قد اقترب أجلهم، ولكن قد يموت الطبيب قبل المريض والأعمار بيد الله وحده، ولكن ماذا لو تخيلت فعلاً أن اليوم آخر يوم لك في عمرك، بالطبع ستهرب من هذا التخيل، لأن عقلك الباطن وطول الأمل عندك يجعلك لا تفكر في هذا وأنه باقي من عمرك الكثير، وأنك مازلت صغيراً على الموت وتفكر في المستقبل وأنك سوف تتوب من كل ذنوبك وأنك سوف تحج وتعتمر وأنك ستستغفر عن كل ما أكلت حراماً وشربت حراماً وسوف تصوم قريباً، وتكرر بينك وبين نفسك بأن الله غفور وقابل التوب ولكن تتناسى أنه شديد العقاب

الآن حقاً أنت قريب من الموت فالموت يأتي بغتة ولا تعلم متى ستموت ولكن لابد أن تموت هل تتذكر صديقاً لك كان في نفس عمرك ومات منذ قريب أم تتذكر من كانوا يجاورونا ويجلسون معانا منذ قريب أين هم الآن؟ إنهم تحت التراب

حقيقة لابد أن تعيشها بواقعية بأنك قريب من الموت فهل أنت مستعد للقاء الله، هل تعلم شيئاً عن القبر الذي تنزله؟، هل تعلم شيئاً عن

الحساب؟، هل فكرت في جنازتك؟، وهل فكرت الناس ماذا يقولون عنك؟، هل يترحمون عليك أم لا يبالون بموتك أم أنهم يفرحون لموتك؟، لا أحد إذن ينفعك تركت الأموال والأولاد والنساء والقصور والعقارات وكل شيء، الآن أنت مع عملك فقط لو قدمت خيراً لوجدت خيراً ولو قدمت شراً لوجدت شراً.

نعم الآن أنت مازلت على قيد الحياة تتنفس، مازلت حياً ومازال ملك الموت لم يأتِ ولكنه سيأتي لا محالة، قم الآن جدد التوبة وبادر بالعمل الصالح، أنهِ التسويف من حياتك للأبد فلا شيء يضرك كالتسويف بأنك تؤجل كل شيء إلى المستقبل حتى تجد نفسك في آخر محطات الحياة وتجد نفسك لم تقدم شيئاً مما كنت تريده، فلقد هرمت ولم تحج ولم تعتمر ودب الشيب ولم تتصدق وتلاهيت في دنيا لا تنفع، يموت كل يوم أمامك أحباب وأنت عندك طول الأمل، ترى كل يوم نهاية كل ظالم وأنت لم ترد المظالم، ترى كل يوم نتائج الحرام ومازلت لا تنتهي عنه، ترى كل يوم ولكن لا تتعظ.

فبادر وحاسب نفسك قبل أن تحاسب

* * *

الثلث الأخير

ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول مَن يدعوني فأستجيب له؟ مَن يسألني فأعطيه؟ نزولاً يليق بجلاله وعظيم سلطانه؛ فهو سبحانة ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

فهو أقرب وقت لاستجابة الدعاء لأنك تخلو بالرحمن فتطلب منه ما تشاء وهو سبحانه يحب من يقيم ليله ويتهجد له ويتضرع له بخشوع وانكسار وهو الغني عنّا جميعاً، فقد جعل هذا الجزء من الليل لمن يطلب ولمن يتضرع له وهو الكريم ذو الفضل العظيم خزائنه لا تنفذ ورحمته وسعت كل شيء

وإذا أردت أن تعرف الثلث الأخير من الليل في بلدك فلابد أولاً أن تعلم أن الليل والنهار يختلف من بلد لآخر فبالتالي يختلف وقت الثلث الأخير من بلد لآخر ولكن سوف أوضح لك أقرب وقت للثلث الأخير حتى تكثر من الدعاء فيه وتتهجد لرب العباد

فإذا كان غروب الشمس في بلدك وصلاة المغرب على الساعة 5 مساءً مثلا وطلوع الفجر وصلاته على الساعة 5 صباحاً إذن تقريبا الليل كله 12 ساعة وبتقسيم عدد الساعات على 3 يبقى كل ثلث 4 ساعات وبالحساب من غروب الشمس 5 + 4 + 4 = 13 أي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وهذا يختلف من بلد لبلد.

بالتالي يبدأ منتصف الليل على حساب هذا التوقيت بعد الواحدة بالليل حتى طلوع الفجر فمن السائل ومن الذي تتجافى جنوبه عن المضاجع ومن المشمر لهذا الفضل العظيم، فيا من تريد إجابة الدعاء ويا من تحب سؤال الله، عليك بالثلث الأخير من الليل فإنه الحل لكل مشاكلك مهما كانت مع إخلاص الدعاء لله وخشوع القلب.

* * *

بالحب تحلو الحياة

بالحب تحلو الحياة ليس كلاماً عابراً على ورق ولكنها حقيقة تائهة بين صراع الحياة والماديات الشرسة وانشغال الناس بأعباء الحياة مما جعل الحياة قاسية أيامها مملة رتيبة ولو كانت الحياة مليئة بالحب لعاش الناس سعداء

فحب الله ورسوله هو أساس كل حب وهو حجر الزاوية التي يقيم عليها المسلم بنيانه الإيماني وهو المقياس الذي يحدد صدق المسلم في حياته مع الله قال الله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وهذه الآية تسمى آية المحبة لأن اتباع ما أمر الله به ورسوله هو الذي يصدق تلك المحبة أو يكذبها

فلو كنت تحب الله ورسوله لاتبعت أمره وابتعدت عمَّا نهاك عنه وهكذا تقاس علاقات الحب في الحياة فلو وجد الحب بين الناس لاختفت كل هذه المشاكل والجرائم والهموم والكآبة فالحب هو أكبر مضاد للكآبة والملل وهو غذاء الروح وقوت النفوس، بالحب تجد للحياة طعماً وإقبالاً عليها، الحب في الله ولله، حب ليس له مصلحة ولا منفعة ولا شهوة ولا قرابة، حب من أجل أن يرضى، حب ما يأمرك به الله فقبل أن تفعل شيئاً فكر: هل يرضى

الله عنك بهذا العمل أم لا؟، فماذا لو فعلته هل يحبني الله فلو أحبك الله لكنت أسعد خلقه

إن الشعور بمعية الله يدفع عنك الحزن والهم وينزل السكينة على القلب ولن تشعر بمعية الله إلا اذا كان حب الله ورسوله يملأ قلبك وعندما تحب الله ورسوله وتطيعهما في كل شيء في حياتك سيكون الحب هو رأس مالك، فتعامل زوجتك بحب وأولادك بحب وأهلك بحب وجيرانك بحب وستجد حلاوة الايمان في قلبك

ولقد رأيت بعض الناس قساة القلب لا يُحرَّك لهم ساكنٌ عند مرض أولادهم ولا يحزنون عند فراق الحبيب أو الصديق وقلوبهم أشبه بالحجارة بل زكى الله الحجارة عليهم فهؤلاء الناس تجد حياتهم جافة خالية من العاطفة يملأون المحاكم بكثرة الشكوى وكثرة الطلاق ولو كان هؤلاء يحبون ويملأ قلوبهم الحب لتغيرت حياتهم إلى رضا وسعادة فالحب يجلب الإيثار في القلب ويجعل القلب رحيماً على الغير فما بالك بأقرب الأقربين؟، علموا أولادكم الحب، واحذروا أن تربوهم على الكره والحقد فأنتم أول من يجنى ثمار الخير أو ثمار الشر

فنصيحتى لكم أن تملأوا قلوبكم حباً لله ولرسوله ولو فعلتم لعم الحب على كل حياتكم وفعلتم ما أمركم الله به وما نهاكم عنه ولزاد الخير وقل الشر

* * *

سلوا الله العفو والعافية

قد احتل الصف الأخير من المصليين في كثير من المساجد مجموعة من المقاعد التي يجلس عليها المرضى ومن لا يستطيعون الصلاة مع المصلين في الصفوف الأمامية ولا شك أنه حرمان عظيم من يحرم من نعمة السجود؛ لأنه الموضع الأقرب إلى الله ولأنه الأكثر للخشوع والدعاء، والكثير هم من حبسهم المرض على الأسرة البيضاء أو في بيوتهم لا يستطيعون أن يخرجوا لأداء عبادة الله في مساجده، وغيرهم يتمتعون بالعافية ولا يسجدون لله سجدة فهل يفيقون قبل فوات الآوان؟.

العافية من أعظم نعم الله على عباده ولا شيء بعد اليقين خيرٌ من العافية؛ لأنك تستطيع أن تعبد الله بها سليمًا صحيحًا وغيرك يتجرع من الألم ليلاً ونهارًا حتى وإن كان يملك أموالاً وثروات ضخمة ولكن أين الجسد المعافي الذي يتمتع بكل ذلك فمن الممكن أن تنظر بغبطة إلى غيرك الذي أنعم الله عليه بالمال ولكن لم تنظر إلى بعض من حرمهم الله من نعمة العافية، فإذا كنت تأكل وتشرب دون مشاكل وتنام دون مسكنات وتستقيظ في الصباح دون صرع وتمشي على أقدامك دون عكاز وتنظر إلى خلق الله دون حائل وتعيش بنعم الله عليك دون كدر فأنت في نعم كثيرة لا تعلم قيمتها، فإياك أن تقنط حتى لا يحرمك الله منها وفي الحديث من أصبح معافي في جسده

آمنًا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا، وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم صباحًا ومساءً اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل الله العافية قال العباس فمكثت أياماً ثم جئت فقلت يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله فقال لي يا عباس يا عم رسول الله سل الله العافية في الدنيا والآخرة،

يقول ابن الجوزي رحمه الله في كتابه الماتع صيد الخاطر (السعيد من ذل لله وسأل العافية، فإنه لا يوهب العافية على الإطلاق، إذ لا بد من بلاء، ولا يزال العاقل يسأل العافية ليتغلب على جمهور أحواله، فيقرب الصبر على يسير البلاء)

وفي الجملة ينبغي للإنسان أن يعلم أن لا سبيل لمحبوباته خالصة، ففي كل جرعة غصص وفي كل لقمة شجأ، وعلى الحقيقة ما الصبر إلا على الأقدرا، وقل أن تجري الأقدار إلا على خلاف مراد النفس، فالعاقل من دارى نفسه فى الصبر بوعد الأجر، وتسهيل الأمر، ليذهب زمان البلاء سالما من شكوى،

ثم يستغيث بالله تعالى سائلا العافية، فأما المتجلد فما عرف الله قط، نعوذ بالله من الجهل به، ونسأله عرفانه إنه كريم مجيب

فالعافية هي السلامة من الاسقام والبلاء والعفو هو محو الذنوب فأي دعاء أعظم من ذلك أن يجمع بين محو الذنوب والسلامة من كل بلاء فلا أحد يعلم معنى العافية إلا من حرم منها ولكي تعلم ما أقول أنزل المستشفيات وأنت ترى بنفسك كم أنت في نعمة الأغلبية في غفلة عنها إلا من رحم الله، فكان يقول سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأن أعافي فأشكر أحب إليّ من أن أبتلى فأصبر، فاللهم إنا نسأل العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة

تمت

* * *

التعريف بالكاتب

مؤمن محمد صلاح

حاصل على بكالوريوس نظم معلومات إدارية

يعمل (مصمم جرافيك – مبرمج كمبيوتر).

طالب دراسات إسلامية وعلم شرعي

كاتب ببعض المواقع الإلكترونية مثل:

(ساسة بوست – مدونات الجزيرة – اليوم السابع – طريق الإسلام – المواطن – وغيرهم....)

صدر له كتاب إلكتروني بعنوان (طريق الطيبين)

مهتم بعلم النفس والعلوم الإنسانية

تأثر بكلٍّ من (عبد الوهاب مطاوع – د.مصطفى محمود – الشيخ محمد الغزالي – الرافعي رحمهم الله جميعاً)

الفهرس

مقدمة.....4

لأنه الله.....7

أخلص تنل.....9

ثقافة الاختلاف واحتقار الرأي.....13

سوءات الفكر.....18

قلوب لاهية.....23

الغربة وقسوة القلوب.....26

مداواة القلوب.....29

تخلص من الكتئابك.....33

الحياة العاربة.....38

معوقات تحصيل العلم في زماننا.....41

أهواء الرعاة الجدد.....47

إذا لم تتخير فمن المملكن أن تفنى 51

رسائل الله إليك 55

يا عزيزي كلنا مساكين 58

أبلغهم سلامي 62

أدومها وإن قل 64

مساكين أهل الدنيا 67

المدخل الشخصي 69

الناس في عزلة 73

استقراء المستقبل 77

على رِسلكم 80

فراق الأحبة 83

الوادي الطيب والأوغال 86

ذوقيات افتقدناها 92

نقطة سوداء 100

اسجد واقترب 107

السلام الداخلي 110

حقيقة الرزق 114

الذين لا يعقلون 117

رفع الستار عن اللحى والنقاب 119

كيف تغير عاداتك السيئة؟ 122

تصالح مع نفسك 124

فلا تخضعن بالقول 126

الشماتة 128

الوهم 131

قبل الانتكاسة 134

القراءة فرض 138

عاملني كإنسان 142

مقدمات ونتائج 145

مآربُ أُخرى 147

كيف نقلع عن التدخين؟ 151

ترويض النفس 155

مطعم البيك 161

أثر البيئة على سلوك الإنسان..... 164

أزمة ضمير..... 169

ضحايا..... 171

الألم 173

متى تقول لا؟ 175

ظاهرة الانتحار بين المسلمين..... 178

كيف نتعامل مع مراهق؟ 183

الباحثون عن السعادة 188

كف عليك هذا 190

صفيح بلا مأوى 192

أهلا رمضان 194

نهايةُ مرتشٍ 197

العلم في السلوك 201

آخر يوم في عمرك 202

الثلث الأخير 204

بالحب تحلو الحياة 206

سلوا الله العفو والعافية 208

التحريف بالكاذب 211

* * *

التواصل مع اللآئب
بريد إلكتروني: Momenms@Gmail.com
فيس بوك: www.facebook.com/pro.momenms :
تويتر: @MomenmsPro